أدباء المهجر

د. عبد اللطيف اليونس

حياته وأدبه



د. حسّان أحمد قمحية



د. عبد اللطيف اليونس

حياتُه وأدبُه



دار الحوار للنَّشْر والتّوزيع

سوريَّة، اللاذقيَّة

صندوق بريد: ١٠١٨

هاتف: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

فاكس: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

Dar Al Hiwar

Syria, Lattakia

P.O.Box: 1018

Tel: +963 41 2422339

Fax: +963 41 2422339

daralhiwar@gmail.com

د. عبد اللطيف اليونس

حياتُه وأدبُه

د. حسّان أحمد قمحيّة





الطبعة الأولى

٢٠٢٢ م – ١٤٤٣ هـ



الفهرس

الديوان

مقدّمة

من خلال تتبُّع أدباء الـمهجر وشعرائه والخوض فـي حيثيّات ما كتبوه من نثر ونظموه من شعر، تَبيّن لـي أنّ صفةَ الأديب الـمهجري تُطلَق على كلّ من هاجر إلى الأمريكيّتين ما بين أواخر القرن التاسع عشر وحتّى منتصف القرن العشرين، وأنتج هناك أدبًا وشعرًا ونشره فـي الصحف والـمجلّات الـمهجريّة. وبما أنّ الجامعَ للشعر، الذي أركّز عليه فـي عملي، يسعى إلى أن يضمّ ديوان الشاعر أو الأديب كلّ ما كتب، لذلك فقد حرصتُ على تعقّب كلّ ما نظمَه هذه الأديب وتضمينه الديوان الـمنشود، سواءٌ أكان قبلَ الهجرة أم بعدها. ويستطيع الباحثُ من خلال تواريخ النشر أن يميزَ بين هذا وذاك.

ولابدّ هنا مِنْ أشيرَ إلى نقطة مهمّة بالنسبة إلى أغراض الشعر عند أدباء الـمهجر؛ فهم ليسوا سواء بالنسبة إلى تلك الأغراض؛ فقد لا نجد فـي نتاج بعضهم ما قرأناها من خصائص الشعر الـمهجري من حيث التحرّرُ التام من قيود البناء القديم، والأسلوب الفنّي الجديد والطابع الشخصي الـمميّز، والحنينُ إلى الوطن والأهل، والتعلّق بالطبيعة، والتأمّل، والنزعة الإنسانية، والبعد عن التعصّب، والتعبير والوصف؛ فقد يتفاوت ذلك ما بين أديبٍ وآخر تفاوتًا كبيرًا، وربّما لا يَكاد يُرى شيءٌ من ذلك أو يُرى نذرٌ قليل منه.

ومن أولئك الأدباء الذين شملهم هذا الواقعُ الـمهجري الأديب عبد اللطيف اليونس، فقد أمضى وقتًا طويلًا فـي ديار الـمهجر، فـي كلٍّ من البرازيل والأرجنتين، وشارك مشاركةً فاعلة فـي النشر الصحفي الـمهجري، واشترك فـي روابط الـمغتربين وخالطهم وقاسمهم



همومَهم وأفراحهم وأحزانهم، ونظمَ من الشعر ما نرى فيه بعضَ ملامح الأدب الـمهجري، رغم أنّ تركيزه كان على السياسة والصحافة.

كتب عددٌ من الكتّاب والأدباء عن عبد اللطيف اليونس بوصفِه سياسيًا وخطيبًا، أمّا فـي هذا الكتاب فقد أوليتُه للحديث عن الجانب الأدبـي والشعري فـي سيرته، مع أنّ النشاطَ السياسي والاجتماعي والخطابـي غلب على حياة اليونس أكثر بكثير من الأدب. لقد كان هدفـي من هذا الكتاب التركيزَ على ما تركه اليونس من شعر ساعيًا من وراء ذلك أن أجعلَ هذه الـمادّة الأدبيّة متاحةً للدارسين لتحليلها والتمحيص فيها، كبقيّة شعراء الـمهجر الذين جمعتُ شعرَهم فـي كتب منفصلة، مثل بدري فركوح وسلوى سلامة وجميل حلوة وصبري أندريا وتوفيق فخر ... إلخ. ولابدّ أن أذكر بأنّ الأديب اليونس نظمَ الكثير من الشعر، لكن ضاع بعضُه أو لم يُنشَر، وقد زوّدنـي حفيده الدكتور نزار يونس مشكورًا ببعض أشعاره، بينما لم نجد قصائد أخرى له ورد ذكرُها فـي بعض الـمجلّات. ولعلّ *ملحمةَ الوفاء* الـمطوّلة هي أشهر ما نظم اليونس وأَنْفَسه، ولذلك سأتّجه للتمعّن فيها للوقوف على أفكاره ورؤيته للحياة من خلالها. أمّا الجانب النثري لدى اليونس الذي طغى على أعماله الأدبيّة، ودلَّ على ثقافته الواسعة ومطالعاته الكثيرة، فقد اكتفيتُ بالـمرور عليه مرورَ الكرام.

لقد جمعتُ ما استطعتُ الوصولَ إليه من قصائد الدكتور اليونس، ثم ضبطتُ كلماتِ القصائد الـمجمّعة، وذكرتُ مناسباتِها، وشرحتُ بعضَ مفرداتها. وبعدَ اكتمال الجمع، رتّبتُ تلك القصائدَ بحسب القوافـي، كما وضعتُ فهرسًا لها بحسب البحور. ومن الجدير بالذكر أنّ بعضَ القصائد فـي الـمَصادِر كانت بلا عناوين، فوضعتُ لها عنوانًا من سياقِها. ولابدّ من



التنويه إلى أنّه قد أعثر على قصائد أخرى لليونس فـي الـمستقبل، إلّا أنّ ما حملني على إصدار الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبلَ الوصول إلى تلك القصائد هو أهمّية توفير ما أمكن من شعره للدارسين الآن، وعدم انتظار تجميع بقيّة القصائد، حيث قد يتأخّر ذلك كثيرًا بحسب ما يُتاح لي من مصادر أخرى. والعزمُ معقود – إن شـاء الله – علـى إصدار طبعة ثانية مـن الديوان بمجرّد بلوغ الـمراد من تلك القصائد إن وُجدت.

عندما أخذتُ فـي تَرْتيبِ قَوافـي قصائدِ الشاعر ألفبائيًّا، اعتمدتُ فـي ذلك على أَكْثرِ الأَقْوالِ تَداوُلًا، حيث أخذتُ بعين الاعتبار الترتيبَ حسب الرَّوِيِّ الـمُتَّفق عليه فـي القَوافـي، ولكنَّني لـم ألجأ إلى إهمال ألف الإِطْلاق وهاء الوَصْل واليَاء الـمُجرَّدة ... وما إلى ذلك، مثلما كنتُ أفعل فـي جمع بعض الدَّواوين السابقة، بل جعلتُ ما يأتـي بعدَ حرف الرويّ الأساسي أساسًا فـي التَّبْويب. ولذلك، عِنْدما يتَّفق الرويُّ بين القَصائِد، يكون تَرتيبُ حروفِ الرويّ بَدْءًا مِنَ السَّاكِن فالـمَفْتوح فالـمَضْموم فالـمَكْسُور. وعندَ اتِّفاق القَصائِد فـي حرف الرويِّ وحركتِه، اعتمدتُ على الحرف اللاحق ثمّ السَّابِق للرويِّ أو الرِّدْف؛ فإذا كان حرفًا ليِّنًا أخذتُ به أيضًا، وكذلك على حرفِ التَّأْسيس. وعندما يتَّفق شأنُ الرويِّ فـي كلِّ ذلك فـي أكثر من قَصِيدَة، ألجأُ إلى الترتيب بحَسَب البحُور، حيث كان الترتيبُ كما يلي: الطويل، فالـمَديد، فالبَسيط، فالكامِل، فالوافِر، فالهَزَج، فالرَّجَز، فالرَّمَل، فالسَّريع، فالـمُنْسَرِح، فالخَفيف، فالـمُضارَع، فالـمُقْتَضب، فالـمُجْتَثّ، فالـمُتَقارب، فالـمُتَدارَك (بصرفِ النظر أكانَ البحرُ تامًا أَمْ مَجْزوءًا أم مَشْطورًا ... إلخ)، مع الإشارة إلى أنَّ هذه البُحورَ لم يَكْتب عليها الشاعرُ جميعًا. وحينما يتَّفق الرويُّ والبحر أَضعُ القصائدَ الأطول فالأَقْصر. وحين أجد قصيدة



فيها أكثر من قافية، آخذ بقافيةِ البيت الأوّل. كما ذكرتُ أَوْزانَ بحور القصائِد جميعها بجانب عنوان كلِّ قصيدة.

وقبلَ أن أدخلَ في عرض قصائد الديوان وتَبْويبها بحسب القوافي وضبطها، أجريتُ دراسةً مصغَّرة شملت حياةَ الشاعر وسيرته الذاتية الطويلة والحافلة بالأحداث والـمنجزات وأغراضَه وموضوعاتِه وخصائصَ شعره وبعضَ الظواهر التي اكتنفتها.

ولابدّ لي هنا من إسداء الشكر الجزيل للدكتورة آلاء ياسين دياب التي بذلت جهدًا كبيرًا في دعم هذا العمل؛ وتعّرفتُ من خلالها إلى الدكتور نزار يونس والدكتور الطبيب بيان السيِّد حفيدَي الـمترجَم له، حيث أمدّني الدكتور نزار مشكورًا بعددٍ من قصائد جدِّه وببعض الـمراجع التي اعتمدَ عليها الكتاب؛ كما زوَّدني الدكتور بيان بملفّ السيرة الذاتية الذي استخلصتُ منه موجزًا كافيًا عن حياة عبد اللطيف اليونس وبعض شعره.

وأخيرًا، أرجو أن يجدَ هذا العملَ موقعَه الـملائم في الـمكتبة الأدبية الـمهجرية، وأن يكونَ لبنةً جديدة تُضاف إلى أخواتِها لتشكّل مادّةً أخرى تدفع إلى مزيدٍ من التعمّق في دراسة هذه الـمحطّة الـمهمّة من محطّات أدبنا العربي.

والله وليُّ التوفيق.

د. حسّان أحمد قمحيّة

الرياض، حزيران/ يونيُو ٢٠٢٢ م

عبد اللطيف اليونس الأديب والشاعر

حياتُه وسيرتُه

وُلد الأديب عبد اللطيف اليونس فـي قرية بيت الشيخ يونس الجبليّة بصافيتا فـي شهر آب/ أغسطس سنةَ ١٩١٤ م[١]، والده الشيخ يونس عبد اللطيف غانم ياسين ووالدته شفيقة محمّد عبد الكريم غانم ياسين. وقد نشأ فـي أسرةٍ ذات مركز ديني واجتماعي مرموق، حيث كان والدُه شيخًا متواضعًا، مشهورًا بالتصوّف والعبادة والتقوى، قارئًا للقرآن مواظبًا على الأذكار والأَوْراد، كريمًا مِعْطاءً، بارًّا بالفقراء والـمحتاجين؛ كما كان صاحبَ مقام وحظوة فـي القرية، يقصده الناس يَسْألونه ويدعونه إلى مجالسهم. وقد أخذ الأديب عبد اللطيف اليونس الكثيرَ من الفضائل والـمكارم عن والده، وعن والدته التي كانت حازمة فـي تربيته ليكونَ رجلًا صالحًا مستقيمًا.

تعلّم عبد اللطيف اليونس القراءةَ والكتابة قبل أن يبلغَ السابعة من عمره على يد أحد الخطباء فـي قريته، حيث لم تكن هناك مدرسةٌ فيها، وحفظ بعضَ سور القرآن الطويلة والقصيرة. وقد كان ذلك الخطيب قاسيًا شديدًا على التلاميذ، يضربهم ويعنّفهم أشدّ تعنيف، لأتفه الأسباب. ولذلك، فقد امتنع اليونس لاحقًا عن الذهاب إلى حلقات الدرس بسبب قسوة ذلك الخطيب وشدّته الـمفرطة، وأكمل درسَه على يد خطيب آخر فـي القرية اسمه

---

[١] انظر: الدكتور عبد اللطيف اليونس، وفاء وذِكْرى، عبد اللطيف محرز، طرطوس، ٢٠١٣ م، ص٢٥. ولكنّ صاحبَ الترجمة يؤكّد أنّه لا يعرف يومَ مولده ولا السنة التي جاء فيها على وجه اليقين (انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م، ص١٥).



يوسف رسلان، وكان الأخير دَمِثًا رقيقًا طيّبًا، وأتمّ حفظَ القرآن على يديه. ثمّ أُنشِئت مدرسة في القرية في وقتٍ لاحق، فالتحق بها اليونس، وأكمل تعليمه والمبادئ الدراسيّة الأولى على يد أستاذ بارع فيها هو عبد الرحمن الخيِّر الذي كان يعهد إليه بإلقاء بعض الخُطَب.

أُغلِقَت المدرسة الوحيدة في القرية بعدَ ذلك، ممّا اضطرّ والدَيِ اليونس إلى إرساله إلى مدرسة صافيتا الرسميّة على بعد خمسة كيلومترات تقريبًا من القرية، حيث كان يمضي إليها صباحًا ويعود مساء ماشيًا على قدميه. وقد كان الخوري جبر ضومط، أحد أساتذة هذه المدرسة، يعتني باليونس ويُؤْثِره ويشجّعه على مواصلة التعليم، ويتنبّأ له بمستقبلٍ زاهر.

كان عبد اللطيف اليونس يتمتّع بحافظة قويّة أثارت إعجابَ مَنْ حوله، ولذلك دأب على حفظ القصائد الطويلة بسرعة، حتى إنّه خلال وجوده في سان باولو بالبرازيل – في أواسط الستّينيات من القرن المنصرم – حفظَ معظمَ قصائد ديوان عبقر للشاعر المَهْجري شفيق معلوف خلال أسبوعٍ واحد فقط. وقد اعتاد في صِغَره أن يتلو الكثيرَ من المدائح النبويّة والأوراد وقصائد التصوّف التي كان يحفظها ويجيد إلقاءَها.

وأودّ الإشارة إلى أنّ وفاة والد الأديب اليونس كان لها أثرٌ بالغ في نفسه، حيث حصلت الوفاة بينما كان يرافقه في إحدى زياراته إلى قرية «النقيب» التابعة لمحافظة طرطوس، حيث وجد أنّه أصبح أمامَ مسؤولية كبيرة لأسرة مكوّنة من والدته وثلاثة أشقّاء، فترك المدرسة، مع متابعة التعليم ذاتيًّا.



كبرَ الفتى عبد اللطيف اليونس، وزاد وعيُه ونضجُه، واستقرّت فـي قرارة نفسه مبادئ الإصلاح ونبذ التفرقة والطائفيّة والانفصاليّة فـي محيطه، وكان يدافع بشراسة عن هذه الـمبادئ والأخلاق وهو ابن أربعة عشر ربيعًا. ولم يكتفِ بذلك، بل صار ناقدًا أدبيًا، يقيّم الشعرَ حتى أصبحَ النقدُ فيما بعد تخصُّصًا لديه. وفـي هذه السنّ أخذ ينظم الشعرَ، واشترك فـي مجلّة «العروبة» البيروتيّة التي نشر فيها أوّلَ مقالٍ له يشكو فيه أمراضَ الـمجتمع وتسلّط الإقطاع والرجعيّة والروح العشائريّة فـي محيطه. كما نشر مقالاتٍ أدبيّةً وسياسيّة واجتماعيّة فـي مجلّة «الـمَكْشوف» اللبنانيّة. وقد ضاعت تلك الـمقالات والقصائد ولم يحتفظ اليونس بشيءٍ منها.

لقد كان عبد اللطيف اليونس من أشدّ الداعين إلى وحدة الأراضي السوريّة عندما عمد الاحتلال الفرنسي إلى فصلها إلى دويلات، وقد وقف بقوّة فـي وجه أنصار الانفصال، وتجلّى ذلك فـي ثلاثينيّات القرن الـماضي بعدَ الإضراب العام الذي أعلنته الـمُدُن السوريّة واستمرّ نحو شهرين، ورافقته مظاهراتٌ عارمة واصطدامات عنيفة بين أبناء الشعب السوري وجنود الاحتلال. وقد سَبَّب وقوفُ اليونس فـي وجه الانفصال والإقطاعية والرجعيّة الكثيرَ من الـمقاومة والعِداء له، حتّى من أقرب الناس إليه، فنبذَه الكثير منهم وجافَوْه وآذَوْه، حتى بلغ به الحال إلى التردّد على طرابس بلبنان والالتجاء إلى أحد أقربائه هناك.

أخذ اليونس بعدَ ذلك ينشر بالروح نفسها فـي جريدة «البلاد» التي كانت تصدر فـي اللاذقيّة، وقد سُمّيت «الخبر» لاحقًا، وفـي صحف محلّية أخرى، مثل جريدتـي «الضحـى» و «الهدف» اللتين كانتا تصدران فـي حمص، وجريدة «الفداء» الصادرة فـي حماة.



فـي أواخر سنة ١٩٣٧ م عُيّن اليونس معلّمًا فـي مدرسة «وادي العيون» وسطَ معارضة شديدة من بعض الإقطاعيين، وقد كان قليلَ ذات اليد فـي تلك الـمرحلة التي اقترن فيها بزوجته «جميلة»، ورُزق منها بابنتَيْه أمل وسُميّة، وهي ابنةُ عمّ أبيه الشيخ إبراهيم، مع أنّ إرثَ والده كان كبيرًا، لكن حالت بعضُ الظروف دون الاستفادة منه. لم تكن مهمّة اليونس سهلة فـي مدرسته الجديدة؛ فبالإضافة إلى واجبه التعليمي، كان عليه أن يقفَ فـي وجه الدِّعايات السامّة التي كان يمارسُها عملاء فرنسة الانفصاليين تجاه العهد الوطني عبر توطيد علاقاته بأهل الـمنطقة وما جاورها وبالوجهاء فيها، حتى أصبحَ أبرز روّاد الإصلاح فـي الجبل كلّه، بعد أن خاضَ جولاتٍ وجولات مع أولئك العملاء والرجعيين. وقد التقى فـي أفكاره النيّرة تلك مع العلّامة الـمعروف الشيخ سليمان الأحمد الذي أصبحت تربطهما علاقةٌ وطيدة ومثمرة دفعت باليونس إلى إقامة حفلة تكريم ضخمة للشيخ فـي مدينة اللاذقية تحت اسم «اليُوبيل الذهبي للعلامة الكبير الشيخ سليمان الأحمد» فـي يوم الجمعة ١٤ تشرين الأوّل/ أكتوبر، سنةَ ١٩٣٨ م، وقد حضر الحفلة وفود عربيّة ورسميّة رفيعة.

بعدَ انتهاء الدراسة فـي ربيع سنة ١٩٣٨ م، اعتذر اليونس عن متابعة التعليم فـي مدرسة «وادي العيون»، واستقال، وأصدر جريدة «صوت الحقّ» مع صديقيه الدكتور علي سليمان الأحمد وعابد جمال الدين، وأصبح رئيسَ تحريرها. وقد لاقت الجريدة انتشارًا واسعًا، وأقبل عليها الكثيرون. لقد كانت هـذه الجريدة، كما سمّاها اليونس، «منطلقًا للقضية الوطنيّة والدعوة لها والدفاع عنها»، حيث شنّ من خلالها حملاتٍ قويّة على الجنود الفرنسيين وعملائهم وأتباعهم.



شكّلت جهودُ عبد اللطيف اليونس ركنًا ركينًا من الحراك الشعبي المناهض للفرنسيين وأذنابهم، حيث شارك في المظاهرات المناوئة لهم وخطبَ وكتب عنهم وعن ألاعيبهم ومؤامراتهم، وتعرّض للملاحقة والتعقّب والتهديد والوشاية، فتوارى عن الأنظار متخفّيًا في حالة من الضيق والألم والتوجّس والحيرة رغم شجاعته وجرأته، إلى أن وصل إلى طرابلس الشام بعدَ رحلة شاقّة ومُضْنية، ثمّ سافر إلى بيروت فدمشق، ثمّ إلى تدمر فدير الزور فالبوكمال، ثمّ وصل العراق لاجئًا سياسيًا وهو يحمل توصية بذلك بموجب رسالة من إحسان الجابري محافظ اللاذقية سابقًا موجّهةٍ إلى رئيس الوزراء العراقي. لقد كانت رحلة هروب اليونس هذه غنيّة بالكثير من الأحداث والمواقف العصيبة، وقد تكلّم عنها كلامًا يفيض حزنًا وأسى من جهة، وشاعريّة وارفة من جهة أخرى وهو يتأمّل ما مرّ به وما سمع ورأى.

كان وصولُ عبد اللطيف اليونس إلى العراق في الرابع من نيسان/ أبريل سنةَ ١٩٣٩ م، وهو يوم مصرع الملك غازي بن فيصل بن الحسين، وقد تنقّل فيها إلى أن وصل إلى بغداد، حيث بدأت فصولٌ جديدة من الرحلة، كانت بدايتها جميلة وعامرة بالمباسطات واللقاءات، لكنّ ضيقَ ذات يد اليونس أدخله في حالة من اليأس من الحياة والاضطراب والوساوس العَدَميّة، وهو رجلٌ عزيز النفس شامخ الهامَة، إلى أن تداركه الله تعالى بمعونة أحد أصدقائه الذي أخرجه من هذه الضائقة واليأس الشديد؛ وبعدَ بضعة شهور عُيّن مدرّسًا في ثانوية البصرة . وقد دأب على كتابة مقالاتٍ في جريدة «السِّجلّ» التي كانت تصدر في المدينة، بالإضافة إلى الكتابة في صحيفتي «الاستقلال» و «البلاد» وصحف أخرى في بغداد.



تطوّع عبد اللطيف اليونس سنةَ ١٩٤١ م فـي الجيش العراقي، برتبة ملازم أوّل، خلال تصادمه مع الجيش الإنكليزي بعدَ اندلاع مظاهرات مناهضة للبريطانيين خلال الحرب العالـميّة الثانية، حيث احتلّت القوّات البريطانية البصرة آنذاك، وتعرّضت بعض أحياء الـمدينة للنهب والسلب. وقد لاقى اليونس خلال هذه الأحداث محنةً كبيرة، ولُوحِق من الإنكليز بسبب تطوّعه فـي الجيش العراقي، فانتقل إلى بغداد وسط حالةٍ من الخوف والهلع والأخطار والأحداث الـمريعة، وبقيَ ملاحقًا حتّى بعد أن وصل إلى بغداد، ثمّ هرب إلى حلب فاللاذقية، ثمّ صافيتا حيث قريتُه وأهله. وفـي خريف سنة ١٩٤١ م نُفيَ اليونس من قِبَل الفرنسيين إلى بيروت، وفُرِضَت عليه إقامة جبريّة هناك، ثمّ حاولَ الفرار إلى الأردن عبر رحلة حافلة بالـمصاعب والـمخاطر، لكنّه لم يفلح فعاد إلى قريته فـي صافيتا، وبقيَ هناك يمارس نشاطَه الـمعهود.

فـي سنة ١٩٤٤ م ألّف اليونس كتابَه «الجبل الـمريض» يتحدّث فيه عن الحال الذي يُرثى لها لـمناطق العلويين فـي الساحل السوري، من فقر وجهل وتأخّر وجمود، وهو أوّل كتاب يضعه الـمؤلّف. ولقد كان هذا العملُ – كما يقول اليونس – «صدى لحياة قاسية مؤلـمة، وخانقة مريرة»، عايشها الـمؤلّف ومَنْ حوله. كما أصدر سنةَ ١٩٤٧ كتابًا عن ثورة الشيخ صالح العلي على الفرنسيين ما بين سنَتَي ١٩١٨ و ١٩٢٢ م تحت عنوان «الثورة العلويّة – وقائدها الـمجاهد الشيخ صالح العلي»، ثم عدّل العنوان فـي الطبعة الثانية فأصبح «ثورة الشيخ صالح العلي»[1]. وقد رتّب لإقامة حفلة تكريمية للشيخ صالح فـي اللاذقية، حيث

[1] يُذكر أنّ الدكتور عبد اللطيف اليونس وضع ثمانيةَ كُتُب، عدا عن كتاب سيرته الذاتيّة.



أُقيمَت يوم الجمعة فـي ١٧ نيسان ١٩٤٥ م قبلَ سنة من جلاء الفرنسيين عن سوريّة، وبذل فـي سبيل عقدها جهودًا مضنية داخلية وخارجيّة، رغم كلّ محاولات منعها من بعض الإقطاعيين والرجعيّين الـمتعاونين مع الاحتلال الفرنسي. وحضر الحفلة شخصيّات وطنيّة وعربيّة بارزة.

لقد أصبح عبد اللطيف اليونس عضوًا فـي الـمجلس البلدي وفـي مجلس الإدارة لـمنطقة صافيتا، وكان يسعى فـي الفصل بين الـمتخاصمين حتّى خارجَ محافظته، دون انحياز لسبب طائفي أو عنصري أو عشائري أو ديني أو مذهبي. وإبّان التحضير لانتخابات أعضاء مجلس الشعب سنة ١٩٤٧ م، شارك بقوّة فـي هذه الحملة، وكان له خطابٌ طويل بليغ ومؤثّر على أعتاب ترشُّحه لهذه الانتخابات، حدّد فيه معالـمَ برنامجه الانتخابـي، وذكّر بتاريخه السياسي الطويل فـي مقاومة الـمستعمر وأذنابه، والاجتماعي فـي وقوفه بوجه الظلم وعونه للآخرين ومساعدتهم بكلِّ ما أُوتـيَ من قوّة وبأس. ولكنّ اليونس لم ينجح فـي تلك الانتخابات لبقائه فيها منفردًا دون قائمة.

بعدَ خسارة الانتخابات، جلس اليونس فـي خلوةٍ مع نفسه واستأذن الرئيس السوري حينذاك شكري القوّتلي للسفر إلى الـمهجر الذي جاءته منه رسائلُ كثيرة مؤيّدة لنضاله ومقرّظة لأعماله، وقد أصدرَ بيانًا طويلًا يبرّر لـمَنْ حوله دواعي سفره، ويذكّرهم بما قام به ويقوم من أجل نصر قضيّته فـي تحرير الناس من العادات والتقاليد الـموروثة السيّئة. اتّجه اليونس باديَ ذي بدء إلى الأورغواي. وقد كان الغايةُ من السفر، فضلًا عن الاطلاع على شؤون الـمغتربين ومشاغلهم، الوقوفَ فـي وجه الدعاية الصهيونيّة الـمناوئة للعرب وتبيان



الـمخطّط الذي تتبعه الصهيونيّة لإفساد الـمجتمعات ونشر الرذيلة وهدم القِيَم والأخلاق ليتسنّى لها السيطرة على العالم وتحقيق مآربها الدنيئة، والدفاعَ عن حقوق الشعب الفلسطيني وقضاياه، وهو القائل عن ذلك «كانت رحلتي كلّها معبّأة لأجل فلسطين والدعوة لها والعمل لنجدتها».

انتقل اليونس بعدَ ذلك إلى الأرجنتين حيث استُقبل استقبالًا حافلًا بالترحيب والاحتفال والاحتفاء، وهناك ألقى عددًا من الـمحاضرات، وكتب فـي الصحف الـمهجرية عشرات الـمقالات، مثل مجلّة الـمواهب والجريدة السوريّة اللبنانية والسلام والرفيق. والتقى هناك براعي أبرشيّة زحلة فـي لبنان الـمطران نيفون سابا الذي نظم فـي اليونس الأبيات اللاحقة:

سَـأَلْتُ اللُّطْـفَ عَـنْ شَـهْمٍ أَبِـيٍّ ... كَـرِيمِ الخُلْـقِ ذي أَدَبٍ ظَرِيـفِ

خَطِيـبٍ فـي الـمَنابِرِ أَلْـمَعِيٍّ ... و «يُـونُس» بالتَّلِيـدِ وبـالطَّرِيفِ

ولِلْأَوْطـانِ مِعْـوَانٍ وَفِـيٍّ ... عَـلى الأَعْـداءِ صَمْصـامٍ مُخِيـفِ

أَجـابَ وقَـدْ تَبَسَّـمَ عَـنْ مَعـانٍ ... تُـتَرْجِمُ عَـنْ مَـدَى فِكْـرٍ حَصِـيفِ

بِمَعْنـاهُ أَنـا «عَبْـدُ اللَّطِيـفِ» ... أَنـا لُطْـفٌ بِمَبْنـاهُ، ولكَـنْ

كما التقى بالأديب الـمهجري جورج صيدح والأديب والصحفي يوسُف صارمي والشاعر زكي قنصل وغيرهم. وقد أسسّ بعضُهم جمعيّة سمّوها «جمعيّة أصدقاء عبد اللطيف اليونس»، حيث استمرّت بعضَ الوقت. ثمّ سافر اليونس إلى البرازيل، وفيها التقى بعدد من أدبائها وشـعرائها مثل نصر سمعان وحسـني غراب ونظير زيتون وإلياس فرحات والشاعر



القرويّ الذي نظم الأبيات التالية فيه:

مَـــنْ رَأَى الأُسْــدَ عــلى الــرِّيحِ نُسُــورا	تَمْـــــلأُ الجَــــوَّ نُعاقًـــا وزَئِـــــيرا
مَرْحَبًـــا باللَّيْـــثِ، بالغَيْـــثِ الـــذي	فـــاضَ فـــي النّـــادي بَيَانًـــا وشُـــعُورا
لَـــمْ نَجِـــدْ قَبْلَـــكَ صَـــقْرًا، أَجْـــدَلًا	يُخْجِـــلُ البُلْبُـــلَ شَـــدْوًا وصَـــفِيرا
غـــادَرَ الـــوَكْرَ الـــذي عَـــزَّ بِـــهِ	واليَمامـــاتُ تَـــيَمَّمْنَ الغَـــديرا
باحِثًـــا عَـــنْ مُغْـــرِبٍ مِـــنْ سِرْبِـــهِ	جـــاوَزُوا فـــي طَلَـــبِ الـــمَجْدِ البُحُـــورا
اُرْسُ يـــا «يُـــونُس» باسْـــمِ اللهِ فـــي	بَلَـــدٍ مـــا زالَ لِلْحَـــقِّ ظَهِـــيرا
أَنْـــتَ كـــالبُؤْبُؤِ فـــي عَـــيْنِ الـــمُنَى	فَـــاغْمِضِ الجَفْـــنَ عـــلى الحُلْـــمِ قَريـــرا
لَـــكَ فـــي الـــذِّكْرَى سَـــمِيٌّ بَطَـــلٌ	لَـــبِسَ الحُـــوتَ إلى القَـــوْمِ نَـــذِيرا
حَمَـــلَ الأَمْـــنَ عَـــلى راحَتِـــهِ	مُومِنًـــا، خـــاضَ إلى الخُلْـــدِ السَّـــعِيرا
وجَـــرَى العاصِـــفُ زَهْـــوًا سَلِسًـــا	لِرَسُـــولٍ جـــاءَ بـــالحَقِّ بَشِـــيرا

***

جَنَّـــدَ البُطْـــلُ سُـــيُوفًا وَقَفَـــتْ	دُونَهـــا أَبْطـــالُ «ســـورِيَّةَ» سُـــورا
ومَشَـــى لُبْنـــانُ مَـــعْ إِخْوانِـــهِ	يَمْزُجـــانِ الـــدَّمَ قُدْسِـــيًّا طَهُـــورا
فَلْيَـــدُوما فـــي ظِـــلالِ العَهْـــدِ وَلْـــ	ـــيَكْلَإِ اللهُ مِـــنَ الضُّـــرِّ «الـــوَزِيرا»

ثمّ عاد عبد اللطيف اليونس إلى دمشق، مرورًا بباريس التي قضى فيها بضعة أيّام؛ وفي دمشق زار رئيس الجمهوريّة شكري القوّتلي ورئيس مجلس الوزراء جميل مردم ووزير الخارجيّة



محسن البرازي. انتقل بعدَ ذلك إلى مدينته صافيتا، حيث لاقى من حفاوة الاستقبال والترحيب ما يليق. وترشّح سنةَ ١٩٥٠ م للنيابة من جديد، وفاز بعضويّة مجلس النوّاب (الشعب لاحقًا) عن مدينته صافيتا هذه الـمرّة. وقد شهدت تلك الـمرحلة بضعةَ انقلابات عسكريّة وتغييرات فـي الحكومة والوزراء، وتجاذباتٍ سياسيّة كثيرة وأحداثًا مهمّة وبعض الفوضى فـي تشكيل الوزارات. وقد عُرضت إحدى الوزارات على اليونس واعتذر عنها، لكنّه عُيّن لاحقًا وزيرًا للمعارف فـي أواخر سنة ١٩٥١ م، وهي أوّل وآخر مرّة يقبل فيها بهذا الـمنصب رغم تكرار عرض التَّوْزير عليه؛ كما عُيّن عضوًا قبلَ ذلك فـي اللجنة الدستوريّة لـمجلس الشعب حيث كان أحدَ أعضاء الكتلة الجمهوريّة فيه، وتكرّرت عضويته لهذه اللجنة سنة ١٩٦١ م بعدَ فوزه بالانتخابات النيابية للمرّة الثالثة. ومن الجدير بالذكر أنّ اليونس قدّم فـي ٢٠ آذار/ مارس ١٩٥٠ م مذكّرة بليغة ومدوّية إلى ممثّلي الدول العربيّة خلال التحضير لاجتماع مجلس الجامعة العربيّة فـي دمشق استعرض فيها الـمخاطرَ التي تُحيق بالقضيّة الفلسطينيّة، وأسباب الإخفاق فـي نصرتها ودرء مخاطر الصهيونيّة، وبيّن ما يراه مناسبًا لاستعادة زِمام الـمبادرة وتعزيز وحدة الصفّ العربـي.

فـي سنة ١٩٥٣ م قرّر عبد اللطيف اليونس السفرَ والاغتراب بعيدًا عن الـمُماحَكات والنزاعات السياسية التي كان تعصف بالبلاد، فارتحل إلى أمريكا الجنوبيّة، ووصل الأرجنتين والبرازيل، لكنّه عاد بسرعة إلى دمشق بناءً على طلب عاجل من شقيقه محمود لخوض الانتخابات النيابيّة، غير أنّه اعتذر عنها عندما شعر بأنّ الشيشكلي، الرئيس السوري آنذاك، قد أعدّ قائمة بالـمرشّحين الفائزين مسبقًا. بعدَ ذلك، اغتنم اليونس فرصة وجوده فـي



سوريّة، فزار العراق رغبةً فـي حصوله على شهادة جامعيّة[1]، وزار بعضَ أصدقائه ومعارفه الذين التقى بهم فـي أوّل زيارة له للعراق قبلَ ذلك. وشهدت الـمرحلة اللاحقة اضطرابًا سياسيًا كبيرًا، هاجم خلال الشيشكلي جبلَ العرب بالطائرات، واحتلّت قطعات الجيش بعض الـمدن والقرى، فاصطفّ معظم عناصر الجيش على إثر ذلك بوجه الشيشكلي ممّا اضطره إلى الهروب إلى لبنان بعدَ تقديم استقالته من رئاسة الجمهوريّة، وكان ذلك سنة ١٩٥٤ م. وفـي السنة نفسها جرت انتخابات نيابيّة جديدة فاز فيها اليونس مرّة ثانية، وأصبح أمينَ سرٍّ للمجلس، كما عُيّن فـي عضويّة عدد من لجانه، واشترك فـي وفود رسميّة عديدة زار من خلالها عددًا من الدول العربيّة والأجنبيّة، بما فيها الأردن وفلسطين ومصر والسعوديّة والعراق والاتّحاد السُّوفياتـي، حيث تحدّث مليًّا عن هذه الزيارة، لاسيّما بعض الـمعالِـم الفلسطينية والـمصريّة الضـاربة فـي التاريخ ولقائـه بالزعيم الـمصري الراحل جـمال عبد النـاصـر وحديثهما عن الوحدة السوريّة الـمصريّة، وبالـملك سـعود بن عبد العزيز آل سـعود وولـيّ عهده الأمير فيصل، وقـد أدّى العمرةَ حينها، وطاف بعدد من الـمشاعر الـمقدّسة.

استمرّت التجاذبات السياسيّة بعد نهاية رئاسة هاشم الأتاسي للبلاد، واستلام شكري القوّتلي منصبَ الرئاسة سنةَ ١٩٥٥ م. وقد رفضت عامّة السوريّين الانضمام إلى الأحلاف العسكريّة الأجنبية التي كانت رائجة فـي ذلك العهد، كما قويت العلاقة بين مصر وسوريّة

---

١ لم يتيسّر له الأمر حينذاك، لكنّه حصل على شهادة الدكتوراه الشرفيّة لاحقًا من الجامعة الكاثوليكيّة بمدينة توكمان فـي الأرجنتين سنةَ ١٩٨٦ م.



وتعزّزت مع وصول جمال عبد الناصر إلى حكم مصر، وأُقيمت اتّفاقية دفاع مشترك بين الدولتين. وحظيت سوريّة بدعم الاتحاد السوفياتـي على عدّة مستويات. وكان لليونس فـي تلك الـمرحلة مواقف متماشية مع الإرادة الشعبيّة تجاه جملة القضايا التي اكتنفتها، وقد قدّم الكثيرَ من الـمقترحات، ودخل فـي الكثير من الـمناقشات نُصرةً لـما كان يقتضي منه واجبه الوطني والشعبي. ومن تلك الـمقترحات دعوتُه إلى تسليف الـموظّفين أموالًا لشراء مساكن لهم أو الاشتراك فـي جمعيّات سكنية لهذه الغاية، وإنشاءُ صندوق للتقاعد، ومحاسبة الـمسؤولين والـمستثمرين تحت عنوان: «من أين لك هذا؟»، وإحداثُ مديريّة عامّة للمغتربين بهدف العناية بشؤونهم وشؤون ذويهم، وتأميم وسائط النقل فـي دمشق، وتأسيس دور للعجزة والأيتام فـي كلّ محافظة ... إلخ.

ألّف عبد اللطيف اليونس سنةَ ١٩٥٩ م كتابَه «حياة رجل فـي تاريخ أُمّة»، واستعرض فيه القضيّة العربيّة ما بين سنتَي ١٩٠٨م و ١٩٥٨ م، وهي الـمدّة التي عمل فيها شكري القوّتلي فـي السياسة. وقد أنهى حياته السياسية فـي خِتامها، حيث استقال من رئاسة الجمهوريّة لتمكين قيام الوحدة بين سوريّة ومصر، بمبادرة من السُّوريين. وبعدَ ذلك ألّف كتابه «الـمغتربون» الذي صدر سنةَ ١٩٦٤ م، وهو مكوّن من ٢٢ محاضرة كان قد ألقاها اليونس فـي إذاعة القاهرة إبّان الوحدة. وقد كان للمنزل الذي ابتناه فـي مدينته صافيتا سنة ١٩٥٦ م دورٌ فـي ركونه للتأليف والكتابة.

بعدَ الانفصال بين سوريّة ومصر سنةَ ١٩٦١ م، عادت التجاذبات والـمناكفات السياسيّة إلى أشدِّها، وتكرّرت الانقلابات. وتعرَّض اليونس خلال هذه الـمرحلة إلى بعض الأذى



الـمعنوي والطعن. وقد قرّر السفر إلى سويسرا بعدَ تلقّيه دعوة من شكري القوتلي الذي كان يقيم فـي جنيف، لكنّ عارضًا مَرَضيًّا ألـمّ بالأخير، فعدل اليونس عن وجهته الأولى وسافر إلى فنزويلا التي قصدها عامدًا، ومنها إلى الأرجنتين حيث ألقى محاضراتٍ عن الوطن العربـي عامّةً وعن بلده سوريّة خاصّة، ثمّ زار البرازيل وتشيلي، واستقرّ به الـمقام فـي مدينة سان باولو سنة ١٩٦٤ م، وأسهم فيها بتأسيس «عصبة الأدب العربـي». وفـي سنة ١٩٦٧ م أصدر كتابه «من صميم الأحداث» الذي خصّصه لواقع البلاد العربيّة. كما وضع ما بين سنتي ١٩٦٦ م و ١٩٦٨ م كتابًا خصّصه لشعر الأديب الـمهجري اللبنانـي شفيق معلوف تحت عنوان «شـاعر عبقر: شفيق معلوف»، وآخر تحت عنوان «زكي قنصل: شـاعر الحبّ والحنين». وأصـدر جريدة «الأنباء» فـي سـان باولو باللغتين العربيّة والبرتغالية سـنةَ ١٩٦٩ م، وأسهم فـي تأسيس «اتّحاد الجمعيّات العربيّة الأمريكية – فياراب» سنة ١٩٧٣ م، ثمّ عاد إلى وطنه سنةَ ١٩٧٥ م، حيث بقيَ سنتين قابل فيها الرئيس الراحل حافظ الأسد، فحدّثه عن وضع الجالية العربيّة فـي الأرجنتين، وأنّ جميع الصحف العربية فيها قد توقّفت عن الصدور سنة ١٩٧٥ م بحسب ما أخبره الشاعر الـمهجري إلياس قنصل الذي زاره فـي صافيتا، وأنّ هناك حاجةً ماسّة لاستصدار جريدة باللغتين العربيّة والإسبانية، فوافق الرئيس الأسد على الفكرة وأوعز بتحقيقها.

وبمناسبة الحديث عن جريدة الأنباء، امتدح الأديبُ الـمهجري نبيه سلامة عبدَ اللطيف اليونس مشيدًا بجريدته، حيث نظمَ الأبياتَ اللاحقة سنةَ ١٩٧٠م، ومهَّدَ لها بقَوْلِه: "الأستاذ عَبْد اللَّطيف اليُونس أديبٌ ناضِج، مرهفُ الشُّعور، مجنَّحُ الكلمة، متينُ الدِّيباجة؛ عمل فـي



السياسة فكان نائبًا فـي دوراتٍ متتالية، وجاء البرازيلَ زائرًا فاحتضنه إِخْوانُه، وألحُّوا عليه بالبقاء، فنزلَ عندَ رغبتهم؛ وأصدر جَريدةَ «الأنباء» لتكونَ رسالةَ الوطن للمَهْجر وصورةَ الـمَهْجر للوطن. ولـمَّا أتمَّت عامَها الأوَّل أقامت له الجمعيةُ الخيرية الإِسْلامية العلوية مأدبةً إِكْرامية، اعترافًا بجهوده وتفانيه، وتبارَى الأدباءُ والشعراء لتحيَّة الـمُحْتَفى به، وهذه تحيَّتي (الأبيات)"[١].

لَـكَ فـي القُلُـوبِ مَكانَـةٌ عَصْـماءُ   شَـهِدَتْ بِهـا الأَصْـحابُ والأُدَبـاءُ
يَتَحَلَّقُـونَ عَـلى خِوانِـكَ جُوَّعًـا   واللُّطْـفُ عِنْـدَكَ رَيَّـةٌ وغِـذاءُ
جاهَـدْتَ فـي قَـنْصِ الـمَعارِفِ ساهِرًا   فَعَنـا البَيَـانُ، وأَذْعَـنَ الإِنْشـاءُ
فَنَسَـجْتَ آدابًـا عـلى مِنْوالِـها   يَـتَلاحَمُ الإِبْـداعُ والإِيحـاءُ
ونَشَـرْتَها فـي القـادِرِينَ أَزاهِـرًا   بِعَبِيرِهـا تَتَعَطَّـرُ الأَجْـواءُ
وإِلى الـذِينَ بَعُـدْتَ عَـنْ أَبْصـارِهِمْ   راحَـتْ تُشِـيدُ بِـذِكْرِكَ «الأَنْبـاءُ»

سافر عبد اللطيف اليونس على إِثْر ذلك إلى الأرجنتين سنةَ ١٩٧٧ م، حيث أصدر جريدة «الوطن» فـي عاصمتها بوينس آيرس فـي السنة اللاحقة، وكان يتلقّى بسبب ما ينشره فيها من دفاع عن القضايا العربيّة وهجوم على الصهاينة الـمغتصبين الكثيرَ من التهديدات والشتائم، دون أن يبالي بكلّ ذلك. وقد قضى فـي الأرجنتين اثني عشر عامًا، وعاد إلى الوطن

[١] انظر: ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة – أَوْتار القلوب وقصائد أخرى، استدرك عليه وقدّم له واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م، ص٦٦.



سنةَ ١٩٨٩ م مُنْهِيًا ربعَ قرنٍ من الاغتراب، واستقرّ فـي دمشق مدّةَ عشر سنوات تقريبًا، وكان لحفيده الدكتور نزار اليونس شرف الإقامة معه فـي هذه الـمرحلة؛ ثم عاد إلى مدينته صافيتا سنة ١٩٩٨ م وبقيَ فيها حتّى وفاته سنةَ ٢٠١٣ م.

لقد رثى الفقيدَ الكبير الكثيرُ من الشعراء والأدباء والكتّاب، وجُمعت قصائدهم ومقالاتُهم فـي كتاب بعنوان: «الدكتور عبد اللطيف اليونس – وفاء وذكرى»، ومن القصائد التي قيلت قصيدة بعنوان «أَبا الخُطباء»[1] للأديب عبد الحميد علي، جاء فيها:

بَيانُـــــكَ والزَّمـــــانُ الخالِـــــدانِ وأَنْـــتَ وطِيـــبُ ذِكْـــرِكَ جَنَّتَـــانِ
واسْـــمُكَ نَبْعَـــةُ العَسَـــلِ الـــمُصَفَّى عَـــلى شَـــفَةِ الأزاهِـــرِ واللِّســـانِ
وفي مِحْـــرابِ بَيْـــتِ الحُـــبِّ ضـــاءَتْ صَـــــــلاتُكَ بالتَّشَـــــــهُّدِ والأَذانِ
فـــنَمْ في قَـــبْرِكَ الزّاكِـــي عَظِـــيمًا قَريـــرَ العَـــيْنِ بـــالنَّعْماءِ هانـــي
فمَوْتُـــكَ غَفْـــوَةٌ في الـــرَّوْضِ، لكِـــنْ يُبَرِّئُهـــا الشَّـــذا مِـــنْ كُـــلِّ فانـــي
أَراكَ بِمُهْجَتـــي شَمْسًـــا، وعَيْنـــي سَـــفُورًا في النَّـــدى، فَهَـــلْ تَرانـــي!؟
أَبـــا الخُطَبـــاءِ والفُصْـــحَى بَيانًـــا ورَبَّ السَّـــبْقِ في شَـــأْوِ الرِّهـــانِ
عَـــلى إِبْـــداعِ خُطْبَتِـــكَ اسْـــتَطالَتْ ورَفَّـــتْ كَرْمَـــةُ «الحَسَـــنِ بْـــنِ هانـــي»
بَيانُـــكَ مِـــنْ نَسِـــيمِ الصُّـــبْحِ أَزْكَـــى وأَشْـــهَى مِـــنْ عَبِـــيرِ البَيْلَسَـــانِ
حَياتُـــكَ سِـــيرَةٌ كُـــبْرَى سَـــتَبْقَى مَصـــابِيحَ الهُـــدَى رَغْـــمَ الـــدُّخانِ

[1] انظر: الدكتور عبد اللطيف اليونس، وفاء وذِكْرى، عبد اللطيف محرز، طرطوس، ٢٠١٣ م، ص١١٨.

وتُـــوقِظُ لِلضِّـــياءِ الفَجْـــرَ حَتَّـــى   يُمَـــزِّقَ في الضُّـــحَى لَيْـــلَ الهَـــوانِ

لقد قرّرت لجنة إحياء التراث العربـي فـي أستراليا، سنةَ ١٩٩٢ م، منحَ الأديب عبد اللطيف اليونس جائزة جبران العالـميّة[1] تقديرًا لجهوده وأعماله الأدبيّة. وقد هنّأه الأديب عبد اللطيف محرز بمناسبة حصوله على هذه الجائزة بقصيدة بعنوان «الشاعر والشمس»[2]، جـاء فيها:

غَسَـــلَ الفَجْـــرُ جُرْحَـــهُ في رُؤانـــا   وسَـــقَى نَـــبْضَ قَلْبِـــهِ مِـــنْ دِمانـــا

وأَطَلَّـــتْ شَـــمْسُ الحَيَـــاةِ فَـــرَقَّ النْـــ   ـنُـــورُ تِيهًـــا، تَيَمُّنـــا بِلِقانـــا

يـا صَـــديقِي وأَنْـــتَ مَـــنْ جاهَـــدَ الدُّنْـــ   ـيـــا ذِراعًـــا، وخافِقًـــا، ولِســـانا

جَمَعَتْنـــا الحَيَـــاةُ خَلْـــفَ كِفـــاحٍ   وتَعالَـــتْ في الـــمَكْرُماتِ يَـــدانا

نَحْـــنُ أَغْنَـــى مِـــنَ الحُـــرُوفِ وقَـــدْ ضـــا   قَـــتْ رِحـــابُ السَّـــماءِ عَـــنْ مَعْنانـــا

نَحْـــنُ بالشِّـــعْرِ نَعْجِـــنُ الكَـــوْنَ بالحُلْـــ   ـــمِ، ونَبْنـــي كـــما نَشـــاءُ الزَّمانـــا

أيُّهـــا الكاتِـــبُ الـــذي أَشْـــعَلَ الحَـــرْ   فَ شُموسًـــا تُضِـــيءُ في دُنْيَانـــا

قُـــمْ وصـــافِحْ في ســـاحَةِ الفِكْـــرِ والإِبْـــ   ـــداعِ، في ســـاحَةِ الـــمُنَى، «جُبْرانـــا»

---

[1] انظر: مجلّة الثقافة، حوار مع الوطني الـمخلص الكاتب الأديب الدكتور عبد اللطيف اليونس، العدد ٦، ١ حزيران/ يونيُو ١٩٩٣ م، ص٥٦.

[2] انظر: نفحات من الشعر عن الدكتور عبد اللطيف اليُونس، جمعها ودقَّقها: عبد اللطيف محرز، أشرف على طبعها: د. نزار يونس، الطبعة الأولى، اتّحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠٠٥ م، ص٣٠١.

واقْتَبِسْ مِنْ «نَبِيِّهِ» لُغَةَ الحُبْـ ـبِّ، وسَلْسِلِ آياتِها قُرْآنا
أَيُّها الطّامِحُ الـمُسافِرُ في الأبْـ ـعادِ، لا يَسْتَريحُ ولا يَتَوانى
قَدْ تَجاوَزْتَ في السِّياسَةِ بَحْرًا لَمْ يُضَيِّعْ في اللُّجَّةِ الشُّطْآنا
ثُمَّ أَعْلَيْتَ لِلْفَصاحَةِ مَجْدًا لا يُضاهَى، ورُتْبَةً لا تُدانى

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ دار عبد اللطيف اليونس كانت منتدى للأدباء والشعراء وأهل الفكر. وقد شارك في أغلب الأمسيات الأدبيّة خطيبًا، حيث كان يرتجل جميعَ محاضراته ارتجالًا مثلما هو معروف عنه، وبذلك فهي غير مكتوبة. كما كانت الصحف السورية والتلفزيون السوري يجريان معه لقاءاتٍ أدبيةً و فكرية.

قبلَ الولوج إلى الحديث عن أدب عبد اللطيف اليونس، لاسيّما الشعر، واستنادًا إلى سيرته وحياته ونضاله، يمكن القول: إنّه كان رجلًا نهضويًا وجريئًا ومجدِّدًا بامتياز، تجلّى دورُه جليًّا في كتابه «الجبل الـمريض» الصادر سنة ١٩٤٤ م، حيث عرَّى الـمشكلات التي كانت تعانيها الجبال الساحلية مثلما سبق أن ذكرنا، لاسيّما الـمشكلة الاجتماعية وتفرّعاتها الإقطاعية والعشائرية، كما تجلّى ذلك من خلال ممارسته للتعليم في منطقة وادي العيون سنةَ ١٩٢٨ م في بيئة كانت تخضع لسيطرة الإقطاع. لقد أدرك اليونس بوعيه الفطري الـمتبصّر وحسِّه الـمرهف أنّه لا يمكن القضاء على أمراض الجبل ونشر رسالة الإصلاح التي أخذها على عاتقه إلا بمدّ يد العون للإصلاحيين، وقد كان أقربَ الناس لرائد الإصلاح في تلك الجبال العلّامة الشيخ سليمان الأحمد الذي كان عضوًا في الـمجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ م. وبما أنّ الدكتور اليونس كان يعرف أكثر من غيره مكانةَ العلّامة الأحمد ودوره الإصلاحي



الرائد فـي حياة أبناء الساحل فقد عملَ – كما ذكرنا سابقًا – على إقامة يوبيل ذهبي له تكريمًا واحتفاءً بذلك الـمصلح الأوّل سنة ١٩٣٨ م. ويعود الفضل للدكتور اليونس فـي تدوين تاريخ ثورة الشيخ صالح العلي، التي دامت قرابةَ ثلاث سنوات، على الفرنسيين، إضافةً إلى فضله البارز فـي تكريم الشيخ والاحتفاء به.

لقد أدرك اليونس أهمّيةَ الـمغتربين السوريين للوطن؛ فعرف معنى احتضانهم والاحتفاء بهم، من خلال احترام تلك البلاد التي سكنوها؛ ومن هنا أتت مطالبتُه البرلـمانَ السوري بتسمية شارعين بدمشق باسم البلدين اللذين يوجد فيهما أكبر تجمّع للسوريين ، وهما شارع البرازيل وشاعر الأرجنتين.

أدبُه وفكرُه

رغم انشغال الكاتب والأديب عبد اللطيف اليونس بالسياسة وهمومها ومشاكلها، وانغماسه فيها معظمَ حياته، لكنّه لم يغفل عن الاهتمام بالأدب والشعر والفِكر، فكان لهما نصيب مهمّ من سيرة حياته. لقد بدأ هذا الاهتمام منذ نعومة أظفاره، وكان يتمتّع بحافظة قويّة، "وهذا ما مكّنه من حفظ عدد من القصائد الطويلة بسرعة، كما حفظَ لاحقًا معظمَ قصائد ديوان عبقر للشاعر الـمَهْجري شفيق معلوف خلال أسبوعٍ واحد فقط"[١] بحسب ما أشار هو نفسه فـي سيرته الذاتيّة. وقد اعتاد فـي صِغَره "أن يتلو الكثيرَ من الـمدائح النبويّة والأوراد وقصائد التصوّف التي كان يحفظها ويجيد إلقاءَها"[٢].

---

١ انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٧ م، ص٣٣، ٣٤.

٢ انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٤٣، ٤٤.



أخذ عبد اللطيف اليونس فـي نظم الشعر وهو فـي سنٍّ صغيرة، "ابن أربعة عشر عامًا، ونشر بعضًا من ذلك فـي مجلّة «العروبة» البيروتيّة ومجلّة «الـمَكْشوف» اللبنانيّة. ولكنّ تلك القصائد ضاعت، ولم يحتفظ بشيءٍ منها"[1]. كما أنّني وجدتُ ما يشير إلى قصائد له فـي بعض الـمصادر، لكن لـم أجدها رغم بحثي الـمطوّل عنها والاستفسار من حفيده الدكتور نزار اليونس، ومن ذلك قصيدةٌ له عارض فيها قصيدة للشاعر القرويّ كان قد وجّهها لشاعر عبقر شفيق معلوف[2]، وقصيدة أخرى رثى فيها الشيخ صالح العلي[3]. ولابدّ لي هنا من الإشارة إلى الأديب اليونس كان إذا بدأ بقصيدة يستطيع أن يمضي فـي نظم أبياتها بلا توقّف، إلى أن يمنع مانع من انشغال أو موقف أو تغيّر ما، أي إنّه كان قادرًا على الاسترسال فـي النظم بأسلوب مميّز لـما لديه من موهبة امتلاك الوزن وسَعة الـمعجم اللغوي وغزارة الـمعرفة. وقد أشار إلى مثل ذلك فـي أكثر من موضع من قصائده[4].

غلب الجانبُ النثري على أدب عبد اللطيف اليونس، فكتب الكثيرَ من الـمقالات الأدبيّة الذي نشرتها بعض الصحف والـمجلّات، مثل مجلّة الثقافة لصاحبها مدحة عكاش، ومجلّة

---

[1] انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٣٧.

[2] انظر: جريدة الأنباء، الأربعاء ٢٠ آب/ أغسطس، ١٩٦٩ م، ص٣. بعد أن كتبتُ هذه الأسطر حصلتُ على القصيدة من الدكتور نزار يونس، فله جزيل الشكر.

[3] انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٣٥٢.

[4] انظر على سبيل الـمثال: جريدة الوَطن، بوينس آيِرس، الأربعاء ١ آب/ أغسطس، ١٩٨٤ م (مقالة حوار بين شاعرين).



الـمواهب الـمهجريّة لصاحبها يوسف صارمي، والآداب للدكتور سهيل إدريس، والأديب لألبير أديب، وغيرها. ومن هذه الـمقالات نذكر: الشـاعر العـائـد (ويقصد الشاعر القرويّ)، ونزار قبانـي وقصيدته «أيظنّ» التي انتقد فيها هـذه القصيدة وبعض ما جاء فيها، و «مشـكلة الأدب والأدبـاء مـا هـي بواعثها؟ ومـا هـو علاجها؟»، و «الشـيخ عـارف الزين فقـيـد الأدب والوطنية والجهاد»، و «قـضـايـا الأدب والأدبـاء: بيـن الـقـروي وزيـتـون»، و «الهجرة فـي الشعر العربـي، وأدب الأغتراب هل انتهى؟ أم لا يزال قائمًـا؟»، والكثير غيرها. كمـا كتب مَقالاتٍ نقديّة عـن بعض دواوين الشـعراء، مثلما مـا كتبه ونشـره عـن الشـاعر الـمهجري نصر سـمعان وشـعره وكذلك عـن ديوان الأديب والشاعر نبيه سـلامة «أوتار القلوب» فـي جـريـدة الأنباء التي كـان يرأسُـها؛ وقدّم لعدد مـن دواوين الشـعـراء مـثـل ديوان الشـيـخ عـبـد اللطيف إبراهيم الصـادر عـن مطبعة الكاتب العربـي بدمشق، سنةَ ١٩٧٩ م.

وقد سبق أن أشرنا إلى أنّ اليونس كان لديه ميلٌ إلى النقد الأدبـي، ومن ذلك مقالة لها بعنوان «مشكلة الأدب والأدباء»، يتحدّث فيها عن «أزمة النقد وندرة الناقدين»، فيقول: "إنّه لا يمكن أن ينشأَ أدبٌ جيّد، ولا أن يكثر الإنتاج الأدبـي إلّا إذا اصطدمت الأقلام مع بعضها بعضًا ... فـي حـال الصراع الأدبـي يكثر الإنتـاج وترتفع نسبته ونوعيّته، ولا يُحفَظ للتاريخ منه إلّا مـا يتبقّى فـي الغربال. ومهمّة الناقد فـي بلادنا مهمّة عسـيرة شاقّة، وصعبة شـائكة، ذلك أنّ النقد عندَ بعض الناس معناه التهجّم علـى كـرامـة أديبٍ وسـمعته، وربّـما علـى شرفه وعِرْضه ... إنّ النقد ليس هـدمًا، بـل بناء، ليـس تَثْبيطًا لعزيمة الكتّاب، وإنّما تشـجيع



لـهم. وإنّ الكـتـاب الذي يظـفـر بأقـلامٍ جـارحة هـو الذي يحتلّ صـدرَ الـمكتبات، وتتناقله أيـدي القُـرّاء"[1].

والناظر فـي سيرة الأديب عبد اللطيف اليونس يلاحظ أنّه كان بين الفينة والأخرى يسترسل فـي وصف مشاهد مرّت به، فيكسوها من حِسّه الأدبـي والفنّي، فيخرج القارئ من سرد الأحداث إلى واحة نثريّة من الوصف الجميل؛ فعندَ حديثه عن الخيام التي كانت تُنصَب أمامَ البيوت وتُحاط بورق الغار فـي مدينته صافيتا فيما مضى من الزمان يقول: "وليس ثمّة ما هو أجمل ولا أمتع ولا أحلى من النوم فـي تلك الخيام التي كانت – حينما تهبّ الريح – تتمايل برقّة كأنّها غادة لعوب تتثنّى، والغُنْجُ يغمرها والعطرُ يُسْكرها، وعبق وريقات الحبق يُنعشُها ويُطْربها ويستخفّها! وفـي الليالي الـمُقْمِرة تتسلّل خيوطُ القمر من خلال وُرَيْقات الغارِ وكأنّها حبالُ ضوءٍ تتدلّى من عَلٍ"[2].

وعندما هرب اليونس من الفرنسيين فـي رحلةٍ طويلة وشاقّة قادته إلى العراق، وصلَ والشمسُ أوشكت على الـمغيب، فوقفَ على الحدود ينظر إلى وطنه سوريّة، وهو يقول ممّا خطّه فـي سيرته الذاتيّة: "كانت الشمسُ قد غربت، وبدأ الليل يُرخي سُدولَه ... كان الأفق البعيد ما يزال يحتضن خيوطًا صفراء خلّفتها الشمس وراءَها، وهي تتوارى، كأنّ ذلك إيذانٌ برحيلها، هي وأنا. وكان القمرُ فـي أيّامه الأوالي، تعلوه صُفرةٌ تُضْفي عليه رقّةً وعذوبةً وأُنْسًا؛

---

[1] انظر: مجلّة الثقافة لـمدحة عكاش، مشكلة الأدب والأدباء: ما هي بواعثها؟ وما هو علاجها؟، عبد اللطيف اليونس، العدد ٧، ١ تمّوز/ يُوليُو ١٩٦٠ م، ص٤٦، ٤٧.

[2] انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص١٩.



وثمّة غيمات متفرّقة داكنة صغيرة تفصلُ بينها زرقةُ سماءٍ مشوبة بالاصفرار ... والأفق حائرٌ بين شمسٍ تغيب وقمرٍ يطلّ وظلمة تتهيّأ لتنقضّ ... فتُلْبِس الصحراءَ حلّتها الرهيبة الكئيبة السوداء. وبدأت نُجَيْمات بِيض تنفلت من مخابئها وتطلّ كأنّها بسماتُ السماء أو عيون الجوزاء، تَسْترق السمع، وتتلصّص على الغبراء "[1].

ويبدو لي أنّ الأديب عبد اللطيف اليونس تأسره بعضُ الـمواقف، فتفتح شهيّته البلاغيّة للكتابة والتعبير عمّا يستلزمه البيان، فيكتب ما يخطر له بلسان عربـيّ مبين؛ فعندما كان مسافرًا بالطائرة إلى الديار الأمريكية الجنوبية أوّلَ مرّة أخذ ينظر من النافذة إلى الأرض وتضاريسها، فتصاغرت أمامه وتضاءلت، فأخذ يصف ما يراه ويشعر به قائلًا: "وأطللنا على الأرض من نافذة بِلّورية محكمة الإغلاق، فتضاءلت الأرضُ أمامَ أنظارنا تضاؤلَ الباطل أمامَ الحقّ، وصغرت من تحتنا صغارةَ الـمجرم ... وأَطْللنا فإذا الأرضُ صفحةٌ غبراء، لوّنتها ريشة خضراء وصفراء وسوداء وبيضاء، فـي كفِّ ساحرٍ مبدِع، ومصوّرٍ فنّان، على غير تنسيق ... وطأطأ الجبلُ رأسَه الشامخ، وغضّت عيونُ الشجر الفارع الباسِق، وأغضى الكثيبُ الـمتعالي، على ما يُحيطُ به من أتربة وصخور"[2].

وفـي مقالة نشرتها مجلّةُ الـمواهب يستحضر اليونس تاريخَ أجداده العرب والـمسلمين، ويستقرئ أمجادَهم وسُلطانَهم وعظمَتَهم، فيصوّر ذلك كأنّما يراه رأيَ العين، فيقول متحدّثًا عن قدومه من وطنه: "من مهبط الوحي، ومنبع الدِّيانات، من مشرق الشمس والحضارة

[1] انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص١٠٧.

[2] انظر: مجلّة الـمواهب الـمهجريّة، السنة الثالثة، العدد ١١، نيسان/ أَبْريل، ١٩٤٨ م، ص٣٥.



والتاريخ، من مبدأ العلم والفنّ والتكوين؛ من موطن الغُزاة الذين فتحوا العالـمَ بآدابِهم وأخلاقهم قبلَ أن يفتحوه بسلاحهم .... من موطنِ الأُباة الذين أعطَوا الدنيا دروسًا بالعزّة والكرامة، والإباء والشَّهامة، والذين جاب أجدادُهم الأرضَ قاصيها ودانيها ... من شاطئ البحر الذي أخضعه أجدادُنا للأشرعة والـمجاديف، والذين أطلّوا من ورائه على الدنيا الـمَجْهولة الـمتأخّرة، الغارقة فـي سباتٍ من الجهل والتأخّر عميق ... من تلك الأرض التي شُيّدت عليها هياكلُ سليمان، ودُفِنَتْ بين طبقاتها عظمةُ الرومان ... وأبت أن تخضعَ إلّا لأبنائها الصيد، وأن تُذعِن إلّا لأحفادها الأجاويد"[١].

ولننظر إلى الأديب اليونس وهو يرنو إلى حياة البساطة والعفويّة، ويُشيح بودهه عن دنيا الـمَفْتونين بالحياة، اللاهِثين وراءَ ملذّاتها، فيصيغ ذلك الـميلَ بأسلوب أدبـيّ بديع، فيقول: "لو سُئلتُ عن الـمكان الذي أرغب السكنى فيه لاخترت كوخًا مثقوبَ الجوانب، مُتَداعي الجدران، تتسلّل منه خيوطُ القمر فـي الأمسيات الهادئة الوادعة، لا نسمع فيه إلّا خريرَ الـماء، ولا نبصر إلّا خيوطَ السّماء، ولا نرى من الناس إلّا طيوفَ الناس أو طيوف القلوب النابضة بالحياة، الـمُتْرَعة بحبِّ الحياة، نشرف من هضبة أرضه على هذه الـمواكب من البشر وقد استخفّها الزَّهْو وتملّكها الغرور، وهيمنت عليها الأنانيّة الرَّعْناء ... فسارت تتزاحم حتّى على استنشاق الهواء، وتتنافس حتّى على موجات الضياء"[٢].

لـم يكن عبد اللطيف اليونس شاعرًا وأديبًا وسياسيًا وحسب، بل كان كاتبًا ومفكّرًا بعيدَ

---

[١] انظر: مجلّة الـمواهب الـمهجريّة، توكومان، السنة الثالثة، تشرين الثانـي/ نوفمبر، ١٩٤٧ م، ص٤٢، ٤٣.

[٢] انظر: بينَ عالـمَيْن، عبد اللطيف اليونس، الجزء الأوّل، ١٩٥٧ م، ص٣٣، ٣٤.



النظر والرؤية أيضًا؛ ففي مقالٍ له يعود إلى سنة ١٩٤٨م بعنوان «إلى أين يسير العالـم؟» [1] يقول: "سؤالٌ يطرحه كلُّ شخص على نفسه، فـي كلِّ يوم، ويراه الرائي منطبعًا على جبين كلِّ إنسان، ومَرْسومًا على كلِّ ناحية فـي الأفق البعيد.

إلى أين يسير العالـم؟؟ سؤالٌ ليس فيه شيء من الإبهام، فالعالـم إنّما يسير إلى نتيجة مجهولة الـمصير، وإلى نهايةٍ محزنة مؤلـمة تاعسة، فهو أشبهُ ما يكون بالبركان الذي تَصْطرع فـي صدره القوى، وتضطرم النار، وهو يوشك أن يتفجّر، فيُودي بكلّ ما يحيط به، إلى قرار ليسَ له قرار.

والعالـمُ اليومَ إنّما تطلع عليه شمسٌ شاحبة الوجه، مكفهرّة الجبين، عليها علامة صفراء، من الأسى القاتِم على إنسانية تعرف كلّ شيء إلّا الخير! وتقول كلّ شيء إلّا الصدق، وتعمل كلّ شيء إلّا الحقّ، ويطغى فيها القويّ على الضعيف، والغنيّ على الفقير! والكبير على الصغير! والظلم على العَدْل! والكُفْر على الإيمان! والصهيونية على قدسيّة التاريخ!.

ولا غروَ، فإنّ من يُبْصِر هذا الإمعانَ فـي الباطل، والإغراق فـي الشرّ، والتمادي فـي الجَشَع، والانحراف عن جادّة الصواب، يستطيع الحكمَ بأنّ هذا العالـم الـمريض إنّما يحفر قبرَه بيده، ويسعى إلى قتل نفسِه بنفسه، وهي حقائقُ تبدو جليّة واضحة لكلّ من يمعن النظر فـي هذا الصراع العالـمي الـمخيف.

ففي الشرق الأوسط تدور معركةٌ رهيبة بين العرب الذين يدعمهم الواقع والتاريخ، وكلّ

---

[1] زوّدنـي بهذا الـمقال مشكورًا الدكتور نزار يونس حفيد الأديب عبد اللطيف اليونس نقلًا عن كتاب «بين عالـمَيْن»، الجزء الأوّل، ١٩٥٧ م، ص١٣٧.



ما يملكون فـي حياتهم من حَوْل وطَوْل، وبين اليهود الذين يدعمهم تشرشل (يقصد البريطانيّين وترومَن (يقصد الأمريكيين)، وكلّ من يماشيهما فـي سياسة الظلم والاستعمار.

وفـي الشرق الأوسط معركةٌ بين الحرّية والاستعباد والاستقلال والاستعمار. وفـي أوربّا معارك صامتة حينًا، وجاهرة حينًا آخر بين الرغبة بالسلام والعمل على تقويض دعائمه، وبين الدول الكبيرة التي تتزعّم العالـم رغمًا عن العالم، تُنافِس في السياسة والتسلّح، لا يقف عنده حدّ، وهيهات أن يقفَ عندَه حدّ.

وفـي العالم اقتصادٌ منهوك، يعبث بحُرْمته «الدولار»، ويخضع لسياسة شَوْهاء رَعْناء، لا ذكرَ لـها فـي قواميس الـمَنْطق، ولا وصفَ لها فـي معاجم السِّياسيين! وإنّ هذه «الورقةَ» الـمغْبَرَّة الدَّكْناء، التي يسمُّونها الدولار، هي التي تُسَيِّر بعضَ أنحاء العالـم، وتفرض سلطانَها الجائر على بعض الجهات فـي العالم، وتسِيرُ به إلى حيث تُريد ولا يُريد!.

وبلى، لقد كان للسياسة، فـي الأمس القريب والبعيد، برامجُ ومناهج، وخطط وتعاليم. وأمّا سياسة هذه الأيّام فإن فيها تقلُّب الأفعى وتلوُّن الحَرْباء، لا ضميرَ لها ولا عاطفة فيها، ومتى كان للضمير اعتبارٌ فـي نفوس هؤلاء السَّاسة!؟ ومتى كان للضمير تقديرٌ عند هؤلاء السِّياسيين، الذين يوجِّهون دفّة العالـم إلى وسط اللجَّة الصاخبة، بدلًا من توجيهها إلى الشاطئ الأمين.

وما يستطيع العالَـمُ أن يتفلَّتَ من هذا الكابوس الثقيل، ويتّجه إلى مصير هادئ أمين، ويقضي على هذه الأخطار الـمحيقة به، وبإنسانيّته الـمترفة، ومدنيّته الوارفة، إلّا بعدَ أن يقيم



للحياة نظامًا ثابتًا مستقيمًا، ليس فيه شيء من جُموح الشمال ولا من جُمود اليمين، لا من تطاول الارستقراطية، ولا من تطرّف الاشتراكية، وإنّما هناك حدّ معتدل بين تلك التي تَجمَح للمحافظة، وبين هذه التي تَجنَح للثورة، وذلك بإيجاد نظام ثابت للاقتصاد يكون فيه الإنتاجُ وحده أساسًا لعملة البلاد، ويُقصي عن ميدان الاقتصاد هذا الذي يسمُّونه «الدولار»، والذي يسيطر على أكثر مرافق الدنيا! بالرغم من حيوية هذه الدنيا! وأن يوجد في العالم «هيئةٌ أممية» صحيحة مؤلّفة من رجال يرغبون في السلم، ولا يرغبون في الحرب، ثم يُوجَّه هذا الإنتاج الحربي في الدول الكبيرة المتناحرة إلى إنتاج الغذاء الدَّسِم – لهذه الحضارة المنكوبة – برسالتها المثالية المقدَّسة، وأن يقضي نهائيًا على جرثومة الصُّهيونية الخبيثة الفتّاكة، جرثومة «الصُّهيونية» التي تهدِّد الرُّوحانية السامية والدين والأخلاق، وتسعى لأن تسودَ الرذيلة على الفضيلة، والرَّجاسة على القداسة. وهيهات أن يستقرّ العالم، وأن يسودَ فيه نظام صحيح، ومثل هذه الدولة المنكرة الرَّعناء تسير على درب من دروب الحياة، وتجد لها مشجِّعًا من أبناء هذي الحياة.

ولكن، أَمِنَ الممكن أن تتحقّقَ مثل هذه المُثُل الصالحة والعالم مُسَيَّر بمثل هؤلاء الشُّخوص غير الصالحين!؟ وما دام يخطب ترومَن (ممثّلًا للولايات المتّحدة الأمريكية) وهو جاثمٌ على قنابل ذرّية جهنّمية وجبال من الحديد والفولاذ، ومن حولها دنيا من المحيطات والأُقْيَانوسيّات، ويهدّد تشرشل (ممثّلًا لبريطانيا) وهو على قمّة من الموج الصاخب الهائج، وفي فمه سمّ الأُفْعوان، وفي يده مفاتيح أكثر البلدان؛ ثمّ يعرف العالم كلّ هذا، ويتجاهل في الوقت نفسه كلّ هذا! وينصرف بتفكيره وإنتاجه، لخدمة هؤلاء الساعين به إلى الخراب والدمار!.



وما دام ذلك كلّه يجري على مرأى من أعين الليالي، وعلى مسمع من ضمير الوجود، فاعلم بأنّك ستتنَّشق رائحةَ «البارود» مرّةً «ثالثة» في حرب عنيفة «ثالثة»، تنزلق بالعالم إلى مصير غامض مجهول، وتعفي على آثار المدينة والحضارة فيه".

ومن مقالات اليونس الفكريّة الأدبيّة الكثيرة مقالةٌ له عن «الهجرة في الشعر العربي»[1]، وفيها يرى أنّ "الشاعر مرآة قومه، تنعكس عليها حياتُهم الخاصّة والعامّة، وتعطي الأجيالَ القادمة صورةً حيّة عنها، بكلّ ما فيها من مساوئ ومحاسن، وأمل ويأس، وأشواق وتجهّم، وانطلاق وجمود". ثم يتحدّث اليونس عن الهجرة ودوافعها وأثرها، فيقول: "والهجرةُ في حياة العرب وتاريخهم شيءٌ ضخم، وعامل أساسيّ من أقوى عوامل وجودهم وبقائهم، وأكثرها اهتمامًا بالدراسة، وإمعانًا بالبحث والتنقيب؛ فالعربيّ الذي انطلق من صحرائه، وانفلت من أَسْر رمالها الظامئة المُجدِبة، وارتحل شرقًا وغربًا، وعَسْكَر هناوأقام هناك، ... ينشر أخلاقه ويبشّر بتعاليمه ويغمر الدنيا بفيضٍ لا ينقطع من لألاء نفسه المتوثّبة للحرّية، وقلبه المتفتّح للحياة ... وربّما كان الشعراءُ العرب أكثرَ شعراء العالم تنقّلًا وعدمَ استقرار".

شعرُه

بحثتُ كثيرًا عمّا تركه عبد اللطيف اليونس من شعر، فلم أجد منه إلّا القليل، وقد أشار إلى أنّه "كاتب وليس شاعرًا، ولا يضع نفسه في مصافّ الشعراء، رغم أنّه نظم بعض القصائد

[1] انظر: الهجرة في الشعر العربي، عبد اللطيف اليونس، مجلّة الآداب، العدد ١، ١ كانون الثاني/ يناير، ١٩٦٤م، ص٤٢.



والـمقطوعات الشعريّة"[1]. ولعلّ ملحمةَ الوفاء أو الاغتراب هي أضخم ما تركه من إرث شعري، وهي تتكوّن من ٤٤٠ بيتًا. وقد جاءت هذه الـمطوّلة الشعريّة على البحر الكامل، وقافيتها الألف والهمزة. نظم اليونس هذه القصيدة الـملحميّة سنةَ ١٩٦٥ م عندما كان في «كورتيبا» بالبرازيل بعدَ سنة من هجرته إليها. ويذكر الأديب أنّه لم يقضِ سوى أسبوع واحد في نظمها. وقد نُشرت القصيدة في جريدة «السلام» بالأرجنتين في السنة نفسها.

والآن، سأقف الآن عندَ هذه الـملحمة لأتحدّث عنها محلّلًا ودارسًا.

أضواء على مَلْحَمَة الاغْتِراب

يستطيع الدارس لـملحمة الوفاء عندَ الأديب عبد اللطيف اليونس أن يستشفّ منها أفكارَه واتّجاهات وما يؤمن به وما يراه في هذه الحياة؛ هي فلسفتُه ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة، وقد عبّر فيها عن رأيه بالشعر، وتحدّث عن بعض رفاقه في الـمُغْتَرَب، فلنسر معًا في قراءة ما انطوت عليه تلك الـملحمة من مبادئ وقِيَم ومعايير آمن بها اليونس ومشى على هديها:

الشعرُ في ميزان عبد اللطيف اليونس وحيٌ ربّاني، كأنّما يريد أن يردّد: «الشعراء ورثة الأنبياء»، مثلما يطيب لبعضهم أن يقول، وفي ذلك يقول:

والشِّعْرُ وَحْيٌ مِنْ إِلَهٍ قادِرٍ   مِنْ طِيبِهِ ووَجِيبِهِ سِيماءُ

[1] انظر: مَلْحَمة الوَفاء، عبد اللطيف اليونس، دار مجلّة الثقافة، دمشق، ص٦.

وَسَـمَتْ رِسالَتُهُمْ، فَهُمْ أُدَباءُ   والأَنْبِياءُ، وإِنْ تَعالَى شَأْنُهُمْ،
نُصَـراءُ فِكْـرَتِهِمْ هُـمُ النُّصَـراءُ   إِنَّ البَلاغَـةَ عَـزَّزَتْ مِـنْ قَـدْرِهِمْ
أَمّـا الأَديـب، فـأَيْنَ مِنْـهُ سَماءُ   لِلْأَتْقِيـاءِ سَـبِيلُ خَـيْرٍ واحِـدٌ

واليونس شديدُ الشكيمة، قويّ العزيمة، كالصخرة الصمّاء لا يلين، لا يبحث عن زائف الأمجاد، ولا ترضيه إلّا معالي الأمور، لكنّه فـي الوقت نفسه متواضعٌ ليّنُ الجانب:

حَتَّـى اضْـمَحَلَّتْ فَوْقَـهُ الأَعْبـاءُ   ولَقَـدْ تَـمَرَّسَ بالـمَتاعِبِ كاهِلِـي
أَنـا صَـخْرَةٌ فـي وَجْهِـهِ صَـمّاءُ   ولَقَـدْ سَـخِرْتُ مِـنَ الزَّمـانِ وبَطْشِـهِ
لا الـرِّيحُ تُرْهِبُنِـي ولا الأَنْـواءُ   أَنـا قَلْعَـةٌ فـي وَجْـهِ كُـلِّ مُشـاكِسٍ
لَـمّا دَهَتْنِـي نَكْبَـةٌ دَهْيَـاءُ   إِنِّـي كَفَـرْتُ بِكُـلِّ مَجْـدٍ زائِـفٍ
اَلْقَلْـبُ ظـامٍ، والـدُّنَى قَفْـراءُ   هَيْهـاتَ تُرْضِـينِي العُـلَى بِسَـرابِها
ورَغـائِبِي، ومُنـايَ، والسَّـرَّاءُ   يـا رَبِّ، أَيْـنَ «الكُـوخُ» فِيـهِ سَعادَتـي

وهو مؤمنٌ بنور الله، لا يخشى الظلامَ وأهله، دينُه الطهارة والتقوى والـمحبّة والوفاء:

فـي خـافِقي نُـورُ الهُـدَى الوَضّـاءُ   أَنـا لَا أَخـافُ مِـنَ الظَّـلامِ وهَوْلِـهِ
ومَحَبَّـةٌ مَوْرُوثَـةٌ ووَفـاءُ   دِينـي الطَّهـارَةُ والتَّواضُـعُ والتُّقَـى
تَكْفِيـكَ نَفْـسٌ سَـمْحَةٌ سَـخْيَاءُ   يَكْفِيـكَ قَلْـبٌ عـامِرٌ بِمَحَبَّـةٍ

واليونس معتدٌّ بنفسه، سالكٌ إليها سلوكَ الواعي النّبيه الذي لا يأبه بالتحامُل أو الـمديح، ولا يُخدع بزَيْف الـمشاعر:

مُتَحامِـلٌ، أو نَظْـرَةٌ شَـزْراءُ   أَنـا لَا يُـؤَثِّرُ فِـيَّ قَـوْلٌ مُغْـرِضٌ

أو بَسْـــــمَةٌ سَـــــحَّارَةٌ مَكّـــــارَةٌ أو نِيَّـــــةٌ غَـــــدّارَةٌ حَمْقـــــاءُ

لا الـــمَدْحُ يُضْـــعِفُني ولا الإِطْـــراءُ هَيْهـــاتَ أَنْ يُـــودِي بِـــيَ الإِغْـــراءُ

قَلَمِـــي عَصَـــرْتُ مِـــدادَهُ مِـــنْ خـــافِقِي فـــإِذا النُّجُـــومُ عَبـــيرُهُ وذُكـــاءُ

إِنّـــي ارْتَقَيْـــتُ إلى السَّـــحابِ بِهِمَّتِـــي لا الجِـــدُّ أَقْعَدَنـــي، ولا الإِعْيَـــاءُ

إذا كانت بعضُ الأبيات السابقة نظمها اليونس على لسان الأديبة دلال كبّاس، فمن عادة الشعراء أن يُسْقِطوا ما يعتقدونه أو يؤمنون به على لسان غيرهم، فهو مؤمنٌ بما يقول ومقرٌّ به لنفسه، كأنّما يتحدّث عنها.

عمرت ملحمةُ اليونس بالكثير من الحكمة، والوفير من التجربة والخبرة. وها هو يرى أنّ حديثَ المرء مرآةٌ لما في قلبه، وأنّ للصدق رائحةَ الطيب وعبقَ المسك:

قَلْـــبُ الـــمُحِبِّ يَبِـــينُ عِنْـــدَ كَلامِـــهِ هَيْهـــاتَ يُوجَـــدُ فـــي الـــبَرِيءِ رِيَـــاءُ

إِنَّ الإِخـــاءَ السَـــمْحَ يَسْـــطَعُ طِيبُـــهُ وتَضُـــوعُ مِنْـــهُ شِـــمائِلٌ غَـــرّاءُ

لقد أسهم عبد اللطيف اليونس في تأسيس «ندوة الأدب العربي» في الأرجنتين، وجنّد طاقاتِه خدمةً لها، إيمانًا بلغته العربيّة وقومه وعروبته:

جَنَّـــدْتُ طاقاتـــي لِـــخِدْمَةِ «نَـــدْوَةٍ» زَهْـــراءَ لَـــمْ تَعْصِـــفْ بِهـــا الأَهْـــواءُ

هِـــيَ نَـــدْوَةٌ أَدَبِيَّـــةٌ عَرَبِيَّـــةٌ وُلِـــدَ اليَقِـــينُ بِهـــا وشَـــبَّ رَجـــاءُ

وكان مؤمنًا بالنقد الهادف الذي يجمع ولا يفرّق، ومرحّبًا به، ومندّدًا بالهدّام منه:

بالنَّقْـــدِ نُصْـــلِحُ ذاتَنـــا وكِيانَنـــا وبِهَدْيِـــهِ تَـــتَقَلَّصُ الأَخْطـــاءُ

والنَّقْـــدُ بَنَّـــاءٌ، ولكِـــنْ بَعْضُـــهُ هَـــدْمٌ، وهَـــلْ بالهَـــدْمِ تَـــمَّ بِنـــاءُ؟

والنَّقْدُ، لَا واللهِ لا تَرْضَى العُلى   عَنْ أَنْ يَكونَ غِذاءَهُ الشَّحْناءُ

مَرْحَى لِنَقْدٍ لَا يَجُرُّ لِفُرْقَةٍ   أَهْدافُهُ التَّرْمِيمُ والإِنْشاءُ

وهو يبذل ما لديه في سبيل الآخرين وسعادتهم، ويتحمّل العناء والشقاء لأجل غيره:

أَعْطَيْتُكُمْ رُوحِي تُنِيرُ سَبِيلَكُمْ   ولِيَ الشَّقاءُ، وأَنْتُمُ السُّعَداءُ

وبِنُورِ شَمْعَتِيَ الذَّبِيحَةِ حَلَّقَتْ   أَقْلامُكُمْ يا أَيُّها البُلَغاءُ

ويرى الأديب اليونس جمالَ الدنيا وسعادتها ونعيمها في نسائها:

هُنَّ الحَياةُ وسِرُّها ونَعِيمُها   وجَمالُها، والصَّفْحَةُ البَيْضاءُ

هُنَّ السَّعادَةُ، أَيُّ نُعْمَى رَفْرَفَتْ   إِنْ لَمْ تُرِقْهَا غادَةٌ غَيْداءُ

والثَّغْرُ مِنْ بَسَماتِهِ قَدْ أَشْرَقَتْ   مُتَعُ الحَياةِ ونُورُها الوَضَّاءُ

والطَّرْفُ، كَمْ سَبَحَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةٌ   ورُؤًى؟ كَأَنَّ رَفِيفَهُ مِيناءُ

سِلْكٌ مِنَ النَّظَراتِ يَعْبُرُ فَوْقَها   طَيْفُ المُنَى وسَعادَةٌ وهَناءُ

دُنْيَا مِنَ الحُلْمِ المُجَنَّحِ عَذْبَةٌ   رَيّا، تُعَطِّرُ أُفْقَها «لَمْيَاءُ»

والأديب اليونس محبٌّ للأدب، مؤمن برفيعه وجميله، وَفِيٌّ لأصدقائه، وهو أخو دعابة ومرح، بل يجد في ذلك تسلية وترويحًا عن النفس في مدلهمّات الغربة والبُعد:

آمَنْتُ بِالأَدَبِ الرَّفِيعِ يُرِيقُهُ   عِطْرٌ، فَتَسْطَعُ صَفْحَةٌ زَهْراءُ

آمَنْتُ بالسِّحْرِ المُبِينِ يَزُفُّهُ   قَلَمٌ، فَتَنْدَى مُقْلَةٌ هَدْباءُ

ما ضِقْتُ ذَرْعًا بالدُّعابِ وحُسْنِهِ   أَيَضِيقُ ذَرْعًا بالدُّعابِ إِخاءُ!؟

إِنِّي لَأَرْغَبُ أَنْ أُداعِبَ صاحِبي   هُوَ مِنْ فُؤادِي خَفْقَةٌ وغِشاءُ

هُوَ بَعْضُ ما بي مِنْ شُعُورٍ ثائِرٍ   في غُرْبَةٍ رُوّادُها شُهَداءُ
في آخِرِ الدُّنْيا زَرَعْتُ حُشاشَتِي   هَلْ أَمْرَعَتْ مِنْ طِيبِها الأَجْواءُ؟
وفِدًى لِقَلْبِي كُلُّ قَلْبٍ زائِفٍ   وأَنا لِصَحْبِي الأَوْفِياءِ فِداءُ
رِزْقٌ على اللهِ الكَرِيمِ تَرَكْتُهُ   قَدْ ضاقَ عَنْ نِعَمِ الإِلَهِ فَضاءُ

وهو رجلُ فكرٍ وعلم وأدب، يطيب له أن يحيّي حملةَ ذلك الفكر الذي يرى فيه نورًا للعالمين:

والفِكْرُ لَيْسَ هُناكَ أَسْمَى غايَةً   مِنْهُ، كَأَنَّ الكَوْنَ مِنْهُ عَطاءُ
الفِكْرُ سِرُّ اللهِ لَيْسَ تَحُدُّهُ   آفاقُنا والقَبَّةُ الزَّرْقاءُ
مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الفِكْرُ؟ أَيْنَ مَسِيرُهُ؟   في لَحْظَةٍ يَنْسابُ حَيْثُ يَشاءُ
النُّورُ بَعْضُ بَرِيقِهِ ووَمِيضِهِ   والأَرْضُ لَوْلَا خِصْبُهُ قَفْراءُ
والكائِناتُ جَمِيعُها مِنْ فَيْضِهِ   قَبَسٌ يُضِيءُ وجَنَّةٌ فَيْحاءُ
لَوْلَا التُّقَى لَوَجَدْتُ فِيهِ صانِعًا   لِلْكَوْنِ، جَلَّ الصّانِعُ البَنّاءُ
هَلْ يَسْتَطِيعُ العِلْمُ كَشْفَ غُمُوضِهِ   هَيْهاتَ يَكْشِفُ سِرَّهُ عُلَماءُ
المَرْءُ يَبْحَثُ عَنْ قُوًى جَبّارَةٍ   في غَيْرِهِ، وبِنَفْسِهِ الأَنْباءُ
سِرُّ الطَّبِيعَةِ كامِنٌ في رُوحِهِ   وعَلَيْهِ مِنْ جَهْلِ المَصِيرِ غِشاءُ

هو رجل تقوى، داعيةُ سلام وأمنٍ، كارهٌ للأحقاد محبٌّ للخير؛ وها هو يتأمّل في هذه الدنيا الفانية زاهدًا فيها معرضًا عنها، سارحًا في ملكوت الله، راجيًا رحمته وطالبًا غفرانَه:

كَفْكِفْ مِنَ الغَلْواءِ تَظْفَرْ بالمُنَى   هَيْهاتَ تَظْفَرُ بالمُنَى غَلْواءُ

وَاكْـبَحْ جِمـاحَ الـنَّفْسِ، بَعْـضُ صِـفاتِها   فـــي الـــمُؤْمِنِينَ تَقِيَّـــةٌ وحَيـــاءُ
يـــا ســـائِرِينَ عـــلى الـــتُّرابِ تَرَفَّقُـــوا   تَحْـــتَ الـــتُّرابِ عَواطِـــفٌ خَرْســـاءُ
ومُنًـــى وأَحْــــلامٌ تَقَلَّـــصَ ظِلُّهـــا   لا القَلْـــبُ مَأْوَاهـــا، بَـــلِ الغَـــبْراءُ
هَــلْ تُزْهِــرُ الآمــالُ فـــي قَلْــبِ الثَّـرَى   بَعْـــضُ الحَقـــائِقِ فَـــوْقَهُنَّ غِشـــاءُ
لَيْـــتَ الـــبَراعِمَ تَسْـــتَحِيلُ لِأَلْسُـــنٍ   تَحْكِـــي كَـــأَنَّ عَبِـــيرَهُنَّ نِـــداءُ
لَـوْلَا التُّقَـى، يـا رَبِّ عَفْـوَكَ عَـنْ تُقًـى،   لَتَعَطَّـــرَتْ بِحَـــدِيثِنا الأَجْـــواءُ
لَجَعَلْـــتُ بَعْـــضَ عَبِيرِهـــا ورِضـــابِها   تَسْـــتافُ مِنْـــهُ الجَنَّـــةُ الزَّهْـــراءُ
لَرَفَعْـــتُ فَـــوْقَ الخـــافِقَيْنِ مَنارَتـــي   وأَطَـــلَّ مِـــنْ قَلْـــبِ السَّـــماءِ لِـــواءُ
لكِنَّنِـــي وأَنـــا الـــمُعَنَّى طَوَّحَـــتْ   بِحَياتِـــيَ الأَحْـــزانُ والبَأْســـاءُ
يـــا رَبِّ طَهِّـــرْ بالـــدُّمُوعِ حُشاشَـــتِي   أَنْقَـــى صَـــلاةٍ غُصَّـــةٌ وبُكـــاءُ
يـــا رَبِّ هَـــذي مُهْجَتـــي ويَراعَتِـــي   وَقْـــفٌ عـــلى مَـــنْ تَشْـــتَهي وتَشـــاءُ
يـــا رَبِّ أَيْـــنَ غَـــدِي؟ وأَيْـــنَ صَـــبابَتِي؟   هَيْهـــاتَ لا نُعْمَـــى ولا إِيحـــاءُ

وينتقد اليونس واقعَ الصحافة والدخلاء عليها، فيقول:

إِنَّ الصِّـــحافَةَ شِرْعَـــةٌ ورِســـالَةٌ   لَـــوْ يَعْـــرِفُ الأَقْـــزامُ والـــدُّخَلاءُ
قَـــدْ أَنْزَلُوهـــا عَـــنْ أَرِيكَـــةِ مَجْـــدِها   لَـــمّا تَـــدَنَّتْ، ســـامَها السُّـــخَفاءُ
قَـــدْ شَـــوَّهُوها، شَـــوَّهُوا سِـــيماءَها   لَـــمْ يَبْـــقَ فِيهـــا لِلْعُـــلَى سِـــيماءُ
يـــا دَوْلَـــةَ القَلَـــمِ النَّزِيـــهِ تَحِيَّـــةً   أَيْـــنَ الشُّـــراةُ القُنَّـــعُ النُّزَهـــاءُ؟

ويَسْتذكر اليونس البيتَ الذي تربّى ونشأ فيه، ويتذكّر كم آوى أهلُه من مظلوم وأنجدوا من ضعيف وأسعفوا من بائس مسكين؛ ولكنّه لا يجد فـي ذلك منًّا على أحد، بل هو فضلٌ من الله عليه وعطاء:

يـــا دارُ، كَـــمْ آوَيْـــتِ شَخْصًـــا بائِسًـــا!   كَـــمْ أَمَّـــكِ الفُقَـــراءُ والتُّعَســـــاءُ!
يـــا دارُ، كَـــمْ كَفْكَفْـــتِ دَمْعًـــا هـــاطِلًا   تَلِـــــدُ الـــــدُّمُوعُ كَـــــأَنَّهُنَّ دِمـــــاءُ
يـــا دارُ، كَـــمْ أَنْقَـــذْتِ مَظْلُومًـــا!، وكَـــمْ   أَسْـــعَفْتِ مُحْتاجًـــا! وكَـــمْ فُقَـــراءُ!
كَمْ مِنْ ضَـعِيفٍ جـاءَ فـي وَسْـطِ الـدُّجَى   فَأَجَرْتِـــهِ! كَـــمْ مِـــنْ عُفـــاةٍ جـــاؤُوا
يـــا دارُ، هَـــلْ ضـــاقَتْ بِشَـــخْصٍ غُرْبَـــةٌ   وأَتـــــاكِ، إِلّا والقُلُـــــوبُ فِنـــــاءُ؟
يـــا دارُ، هَـــلْ آثَـــرْتِ أَهْلَـــكِ مَـــرَّةً؟   هَـــلْ مَـــرَّ يَـــوْمٌ مـــا أَتَـــى غُرَبـــاءُ؟
هَـــــذِي عُيُـــــونُ الله تَشْـــــهَدُ كُلُّهـــــا   أَنَّ الــــــدَّرارِي أَعْـــــيُنٌ رُقَبـــــاءُ
يـــا دارُ، لَا أَقْفَـــرْتِ مِـــنْ نُعْمَـــى، ولَا   مَـــــرَّتْ عَلَيْـــــكِ مَصـــــائِبٌ وبَـــــلاءُ
يـــا رَبِّ، هَـــذا القَـــوْلُ شُـــكْرٌ كُلُّـــهُ   لِنَـــــداكِ، لَا مَـــــنٌّ ولَا خُـــــيَلاءُ

وفـي لفتةٍ ينتاب الأديبُ اليونس فيها شيءٌ من الحنين إلى دياره ويخشى على نفسه ويشعر بدنوّ أجله، ويخاطب الدنيا خطابَ مودّع لا يعبأ بها ولا يحرص عليها، فيقول:

أَغْـــــلَى أَمانِـــــيَّ العِـــــذابِ تَرَكْتُهـــــا   خَلْفِـــي، وسِرْتُ تُحِـــيطُ بِـــيَ الظَّلْـــماءُ
لَـــوْلَا الحَيـــاءُ لَكُنْـــتُ أَوَّلَ مَـــنْ بَكَـــى   لَيْـــتَ الحَيـــاءَ يَغُـــضُّ مِنْـــهُ حَيـــاءُ
خُـــذْها إِلَيْـــكَ وقَـــدْ تَـــأَرَّجَ رَوْضُـــها   زَهْـــراءَ، لَـــمْ تَحْلُـــمْ بِهـــا عَـــذْراءُ
وَاذْكُـــرْ أَخـــاكَ فإِنَّـــهُ فـــي مِحْنَـــةٍ   نَفْسِـــــــــــــــــيَّةٍ، سَرّاؤُهُ ضَرّاءُ

لا مَجْـــــدُهُ مَجْـــــدٌ، ولَا أَيّامُـــــهُ   بِـــيضٌ، وكُــــلُّ حَياتِــــهِ جَوْفـــاءُ
يَقْضِـــي لَيالِيــهِ الطِّـــوَالَ مُسَـــهَّدًا   لا بَـــــدْرُ يُؤْنِسُــــهُ ولا وَرْقـــاءُ
إِنِّـــي لَأَشْـــعُرُ أَنَّ «يَــوْمِي» قَــدْ دَنـــا   بَعْـــضُ الشُّــعُورِ حَقِيقَـــةٌ بَلْهـــاءُ
هــذا دَمِــي، وتَعُــبُّ عَطْشَــى مِــنْ دَمِــي   وأَنـــا الشَّـــقِيُّ بِهـــا، عَدانِـــي الـــماءُ
أَنــا مــا أَسِــفْتُ عــلى نَعِـيمٍ مَــرَّ بــي   لكِــــنْ أَسِــــفْتُ لِأَنَّهــــا حَرْبــــاءُ
دُنْيَـــا تُغَــيِّرُ كُــلَّ يَــوْمٍ لَوْنَهــا   صُـــبْحٌ أَغَـــرُّ، ولَيْلَـــةٌ سَـــوْداءُ!

ملامح أخرى فـي شعر اليُونس

نظمَ عبد اللطيف اليونس قصائدَه على بحور الخليل، والتزم **عمودَ الشعر والشكل التقليدي للشعر العربـي**. ولكنّ لغتَه كانت موائمةً للعصر، ميسّرة، ومواكبة لقضاياه، لاسيّما ما يتّصل بالوطن والعروبة وشؤونها. ولننظر إلى بعض ما جاء فـي قصيدته «قُصّة حبّ»، حيث تبدو اللغة السلِسلة، القريبة من النفس والوجدان:

حَسْـــناءُ .. كَــمْ رَقَصَـــتْ عَــلى كَتِفَيْــهِ!   وتَرَنَّحَـــــتْ طَرَبًـــا عـــلى زَنْدَيْــــهِ
ونَمَـــتْ طُفُولَتُهـــا عــلى ضَـــحِكاتِهِ   وتَمَايَـــلَ العِطْفـــانُ مَـــعْ عِطْفَيْــــهِ
كانَــتْ لَــهُ سَــلْوَى، وكـــانَ لَهـــا أَبًـــا   فَكَأَنَّهـــا كالطِّفْــــلِ مِــــنْ أَبَوَيْــــهِ
كَـــمْ زَقَّهـــا مِـــنْ رُوحِـــهِ! كَـــمْ زَقَّهـــا   مِـــنْ قَلْبِـــهِ! كَـــمْ زَقَّ مِـــنْ شَـــفَتَيْهِ!
حَتَّـــى إِذا اكْتَمَلَـــتْ شَـــمائِلُ رُوحِهـــا   لَــــمْ يَــــدْرِ كَيْــــفَ تَشَــــبَّثَتْ بِيَدَيْــــهِ
وتَحَــوَّلَ الحُـــبُّ الــبَرِيءُ إلى هَـــوًى   لله كَـــــمْ صَـــــبَغَ الهَـــوَى خَدَّيْـــهِ!

ونبضُ العروبة واطِنٌ في ضمير اليونس، وارفٌ في أدبه:

نِعْمَ العُرُوبَةُ ما تَوانَى رَكْبُها   في مَهْجَرٍ نـاءٍ، ولا إِسْراءُ

ويقول:

و «فُؤادُ»، هَذا الشَّيْخُ لُطْفٌ آسِرٌ   ونَبالَةٌ، وعُرُوبَةٌ عَرْباءُ

والعروبة ذاتُ عطاء ومَنْح وسماحة:

و «رَشِيدُ» مِنْ «شُهْبٍ» تَسَلْسَلَ اِسْمُهُ   وكَذاكَ مِنْها اشْتُقَّتِ الشَّهْباءُ

يَمْشِي وعِزَّةُ «عَنْتَرٍ» فِي وَجْهِهِ   إِنَّ العُرُوبَةَ سَمْحَةٌ مِعْطاءُ

والشاعر لا يعتزّ بعروبته فحسب، بل بقومه العرب أيضًا:

فِي ذِمَّةِ العُرْبِ الكِرامِ صَحِيفَةٌ   هِيَ إِرْثُ مَجْدٍ خالِدٍ ولِواءُ

والعربُ عندَ اليونس أهل نقاء وأخوّة وصفاء:

خُذْها إِلَيْكِ تَحِيَّةً عَرَبِيَّةً   فِيها نَقاءُ أُخُوَّةٍ وصَفاءُ

ولليونس في *الحنين* بوحٌ وإفصاح، فها هو يطوف خيالُه المشتاق، خلال غربته، بذكرياته في رحاب بيته وما انطوى عليه من البذل والعطاء والخير والنور فيقول:

أَيُّها البَيْتُ لا عَدِمْتُكَ بَيْتًا   كُنْتَ مَلْجَأَ الضَّعِيفِ فِي الحَرِّ والقَرِّ

كُنْتَ مَأْوَى العُفاةِ فِي اللَّيْلَةِ النَّكْـ   ـراءِ تُؤْوِيهِمُ، ولا تَتَنَكَّرْ

كُنْتَ نُورًا فِي غَيْهَبِ الجَهْلِ والظُّلْـ   ـمِ، وما زِلْتَ مِشْعَلًا لِلتَّحَرُّرْ

كَمْ ضَعِيفٍ أَتاكَ فِي لُجَّةِ اليَأْ   سِ! فَأَسْعَفْتَهُ، ولَمْ تَتَكَبَّرْ

كَـمْ حَـزينٍ كَفْكَفْـتَ أَدْمُعَـهُ الحَـرَّى   بِلَيْـلٍ خـالٍ مِـنَ النُّـورِ أَعْسَـرْ
لَـيْسَ زَهْـوًا هـذا، وهَيْهـاتَ أَنْ أَزْ   هُـو، لكِنَّنـي أَقُـولُ لِأَشْـكُرْ

ويؤرِّقه الحنين وتستبدّ به نارُ الغربة والبعد عن الوطن والأهل فيفرغ ما يجول في خاطره شعرًا رقيقًا حزينًا:

كَيْـفَ أَحْيَـا وقَـدْ فَقَـدْتُ رَجـائي   والهُمُـومُ السَّـوْداءُ تَمْـلأُ رَأْسي
غُرْبَـةٌ مُـرَّةٌ وشَـوْقٌ دَفِـينٌ   ضـاعَ يَـوْمي وقَبْـلَ ذلِـكَ أَمْسـي
وحَنِينـي، وأَيْـنَ مِنْـهُ الصَّـوَاري   سـابِحاتٍ، والحُلْـمُ يَطْفُـو ويُـرْسي
ونَعِـيمٌ مَـرَرْتُ فِيـهِ، ولكِـنْ   لَـمْ أُهَـبْ مِنْـهُ غَـيْرَ تَعْـسٍ ونُكْـسِ
أَسْـلَمَتْني الحَيـاةُ لِلْهَـمِّ والغَمْـ   ـمِ، وسُـودِ الـمُنَى وأَيّـامِ بُـؤْسِ
نَجْمَتـي لَـمْ تَعُـدْ تَـرِفُّ، ولا الضَّـوْ   ءُ أَلِيفًـا، فـأَيُّ نَحْـسٍ كَنَحْسـي
وبَقايـا مِـنَ الشُّـعاعِ أَلِيـفٌ   هُـوَ يُضْـحِي مَـعْ خـافِقي، ثُـمَّ يُمْسـي
قَـدْ سَـئِمْتُ الحَيـاةَ والكَـوْنَ والنّـا   سَ، ووالله صِرْتُ أَسْـأَمُ نَفْسـي

وإذا نظرنا فـي **الإيقاع الداخلي** لشعر اليونس نجد من البديع ما فيه، فمن حسن *التقسيم أو الترصيع* يقول:

كانَـتْ لَـهُ سَـلْوَى، وكـانَ لَهـا أَبًـا   فَكَأَنَّهـا كالطِّفْـلِ مِـنْ أَبَوْيـهِ
كَـمْ زَقَّهـا مِـنْ رُوحِـهِ! كَـمْ زَقَّهـا   مِـنْ قَلْبِـهِ! كَـمْ زَقَّ مِـنْ شَـفَتَيْهِ!

ومن *الالتفاف أو ردّ العجز على الصدر* يقول:

عَلْيَـاءُ، إِنْ كانَـتْ لِغَـيْرِكِ سُـلَّمًا   أو تَكْـأَةً، لَا كانَـتِ العَلْيَـاءُ

وفـي موضعٍ آخر يقول:

كَفْكَــفِ مِــنَ الغَلْــوَاءِ تَظْفَــرْ بالــمُنَى   هَيْهــاتَ تَظْفَــرُ بالــمُنَى غَلْــوَاءُ

ويقول أيضًا في نمطٍ آخر من الالتفاف جاء فـي الشطر نفسه:

آمَنْــتُ بــالحُزْنِ الشَّــهِيِّ، أَعُــبُّ مِــنْ   نَعْمائِــهِ مــا تَشْــتَهِي الــنَّعْماءُ

وهذا نوعٌ من الالتفاف غير التام:

يــا ظَبْيَــةً، لَا كــانَ يَوْمُــكِ هانِئًــا   إنْ لَــمْ يَنَلْنِــي مِــنْ هَــواكِ هَنــاءُ

ومثل ذلك قوله:

وفِــدًى لِقَلْبِــي كُــلُّ قَلْــبٍ زائِــفٍ   وأَنــا لِصَــحْبِي الأَوْفِيَــاءِ فِــداءُ

ومن الظواهر الشعريّة الإيقاعيّة الجميلة التي لفتت انتباهي فـي شعر اليونس *التكرار*، ففي قصيدة له بعنوان «يا عَمّ» يقول:

حَسْــناءُ .. لا تَقْسِــي عَــلَيَّ إذا عَثــا   شَــيْبٌ بِرَأْسِــي، أو إذا دَهْــرِي قَسَــا
حَسْــناءُ .. إِنْ باتَــتْ بِــرَأْسِي صَــلْعَةٌ   إنَّ الغَضَــنْفَرَ قَــدْ تَعَــرَّى ومــا اكْتَســى
حَسْــناءُ .. لَيْسَــتْ في الــمَظاهِرِ عِــبْرَةٌ   فَدَعي الشُّكُوكَ، ومـا تَسُـوقُ، ومـا عَسَـى

***

يــا عَــمُّ: هَــلْ يُرْجــى نِــداءٌ غَــيْرُهُ   بِــئْسَ النِّــداءُ مُعَرِّضًــا ومُوَسْوِسًــا
يــا عَــمُّ: لَــوْلا نَفْحَــةٌ مِــنْ رَيِّــقٍ   عَطِــرٍ لَفَضَّــلتُ اللِّســانَ الأَخْرَســا
يــا عَــمُّ: لا بَقِيَــتْ بِعَمِّــكِ قُــوَّةٌ   تُغْــرِي، لِتَرْتــاحَ النِّســاءُ وتَيْأَســا
يــا عَــمُّ: مــا هــذا النِّــداءُ عَزيزَتــي   هاتــي نِــداءً يــا حَياتــي كَيِّســا

لَــوْلا التُّقـــى، لَلَعَنْـــتُ عَمَّـــكِ جُمْلَـــةً   وحَسِـــبْتُهُ نَـــذْرًا عَـــلَيَّ مُقَدَّســـا

ويسلك الشاعرُ هذا الـمَسْلك فـي موضع آخر فيقول:

قَـــدْ سَـــأَلْنا الـــنَّجْمَ عَنْـــهُ، وإذا   فـــي جَبِـــينِ الـــنَّجْمِ سِـــيماءُ مَشُـــوقْ
وسَـــأَلْنا الصُّـــبْحَ عَـــنْ صـــاحِبِهِ   وإذا الحَـــيْرَةُ فـــي جَفْـــنِ الــمَشُوقْ
وسَـــأَلْنا الـــرَّوْضَ عَـــنْ شـــاعِرِهِ   فَانْتَشَـــى العِطْـــرَ، وأَوْمَـــى لِلْعَقِيـــقْ
وسَـــأَلْنا الشَّـــمْسَ: مَـــنْ ســـابَقَها   أَيْـــنَ أَمْسَـــى؟ وإذا صَـــمْتٌ عَمِيـــقْ

ويواظب اليونس على هذا التكرار ليوصلَ رسالته التي يريد، فيقول أيضًا:

هَـــلْ عَطَّـــرَتْ أَشْـــعارُهُ جُـــدْرانَها؟   يـــا دارُ، لاعَصَـــفَتْ بِـــكَ الأَرْزاءُ
يـــا دارُ، كَـــمْ آوَيْـــتِ شَخْصًـــا بائِسًـــا!   كَـــمْ أَمَّـــكِ الفُقَـــراءُ والتُّعَســـاءُ!
يـــا دارُ، كَـــمْ كَفْكَفْـــتِ دَمْعًـــا هـــاطِلًا   تَلِـــدُ الـــدُّمُوعُ كَـــأَنَّهُنَّ دِمـــاءُ
يـــا دارُ، كَـــمْ أَنْقَـــذْتِ مَظْلُومًـــا!، وكَـــمْ   أَسْـــعَفْتِ مُحْتاجًـــا! وكَـــمْ فُقَـــراءُ!
كَمْ مِنْ ضَـعِيفٍ جـاءَ فـي وَسْـطِ الـدُّجَى   فَأَجَرْتِـــهِ! كَـــمْ مِـــنْ عُفـــاةٍ جـــاؤُوا
يـــا دارُ، هَـــلْ ضـــاقَتْ بِشَـــخْصٍ غُرْبَـــةٌ   وأَتـــاكِ، إِلّا والقُلُـــوبُ فِنـــاءُ؟
يـــا دارُ، هَـــلْ آثَـــرْتِ أَهْلَـــكِ مَـــرَّةً؟   هَـــلْ مَـــرَّ يَـــوْمٌ مـــا أَتَـــى غُرَبـــاءُ؟
هَـــذِي عُيُـــونُ اللهِ تَشْـــهَدُ كُلُّهـــا   أَنَّ الـــدَّرارِي أَعْـــيُنٌ رُقَبـــاءُ
يـــا دارُ، لَا أَقْفَـــرْتِ مِـــنْ نُعْمَـــى، ولَا   مَـــرَّتْ عَلَيْـــكِ مَصـــائِبٌ وبَـــلاءُ

ومن التكرار الجميل الهادف قولُه:

آمَنْـــتُ بـــالأَدَبِ الرَّفِيـــعِ يُرِيقُـــهُ   عِطْـــرٌ، فَتَسْـــطَعُ صَـــفْحَةٌ زَهْـــراءُ

آمَنْـــــتُ بالسِّـــــحْرِ الـــــمُبِينِ يَزُفُّـــــهُ   قَلَـــــمٌ، فَتَنْـــــدَى مُقْلَـــــةٌ هَـــــدْباءُ

آمَنْـــــتُ أَنَّ «إِلْيَـــاسَ» لَـــيْسَ يَنالُـــهُ   صَـــــقْرٌ، ولا نَسْـــــرٌ، ولا شَـــــفْوَاءُ

آمَنْـــتُ أَنَّ مَـــداهُ قَـــدْ جـــازَ الـــمَدَى   أَيْـــنَ النُّجُـــومُ الزُّهْـــرُ والزَّهْـــراءُ؟

آمَنْـــــتُ بالكَـــــذِبِ الطَّريـــــفِ كأَنَّـــــهُ   صِـــــدْقٌ عَلَيْـــــهِ غِلالَـــــةٌ شَـــــوْهاءُ

ومنه أيضًا ما جاء فـي صيغة النداء:

أَ«جَـوادُ»، أَيْـنَ مُنـايَ؟ قَـدْ عَصَـفَتْ بِهـا   دُنْيـــــا، وذَرَّتْ طِيبَهـــــا أَهْـــــواءُ

«أَجَـوادُ»، هَـلْ يَقْضِـي الحَيـاةَ مُشَـرَّدًا   قَلْبِـــــي؟ فَـــــلَا حُلْـــــمٌ ولَا إِيـــــواءُ

أَ«جَـوادُ»، قَـدْ عَبَـقَ النَّسِـيمُ بـآهَتِي   وبِزَفْرَتـــــي، وتَلَظَّـــــتِ الرَّمْضـــــاءُ

أَ«جَـوادُ»، دَعْنِـي، قَـدْ سَـئِمْتُ مَعِيشَـتِي   سُـــــحْقًا لِـــــدُنْيا كُلُّهـــــا أَوْبَـــــاءُ

أَ«جَـوادُ»، لَا كـانَ الوُجُـودُ وأَهْلُـهُ   إِنْ لَـــــمْ تُجِـــــدْ بِلِحاظِهـــــا كَحْـــــلاءُ

هذه بعض ملامح ما نظمه عبد اللطيف اليونس من شعر، وهي لا تغني بحالٍ من الأحوال عن التعمّق فـي قصائده، على قلّتها، لاستفراد الـمزيد من خصائص ذلك النتاج الأدبـي ودراسته حقّ الدراسة كجزءٍ من البحث فـي الأدب الـمهجري.



قافية الألف

مَلْحَمَةُ الاغْتِراب

(من الكامِل)

يــــا شـــــاعِرًا يَعْنُـــو لَــــهُ الشُّـــعَراءُ   وَيُصَــــــفِّقُ الأُدَبــــــاءُ والخُطَبـــــــاءُ

هَـــذِي النُّجُــــومُ زَرَعْـــتَهُنَّ قَوافِيًــــا   فَــــإِذا القَـــــريضُ أَشِـــعَّةٌ وضِـــياءُ

وإذا الحُـــــرُوفُ كـــــأَنَّهُنَّ مَشـــاعِلٌ   تَنْجــــابُ عِنْـــــدَ وَمِيضِــــها الظَّلْــــماءُ

فـــي كُـــلِّ بَيْـــتٍ حِكْمَـــةٌ عَصْـــماءُ   وبِكُــــلِّ بَيْــــتٍ شِرْعَــــةٌ سَــــمْحاءُ

والشِّـــعْرُ وَحْـــيٌ مِـــنْ إِلَـــهٍ قـــادِرٍ   مِــــنْ طِيبِــــهِ ووَجِيبِــــهِ سِــــيماءُ

فَـــارْفَقْ بِنَفْسِـــكَ يـــا «زَكِـــيُّ» ولا تَقُـــلْ   لِلنَّـــاسِ: إِنَّـــكَ «حَيَّـــةٌ رَقْطـــاءُ»

خَلَـــطَ الـــدَّعِيُّ، فَلَسْـــتَ أَفْعَـــى، إِنَّـــما   أَنْـــتَ الـــمَلاكُ مَكانُـــهُ الجَـــوْزاءْ

***

أَمّـــا «دَلالُ»[1] فَقَـــدْ تَـــأَلَّقَ حَرْفُهـــا   حَتَّـــى اسْـــتَعارَ بَريقَـــهُ الشُّـــعَراءُ

وسَـــما بِهـــا خُلُـــقٌ رَفيـــعٌ مُـــتْرَفٌ   زاهٍ، أَنِيـــقٌ، مُشْـــرِقٌ، وَضّـــاءُ

خَلْـــقٌ أَغَـــرُّ، وطَلْعَـــةٌ فَتّانَـــةٌ   رَيّانَـــةٌ، نَدْيانَـــةٌ، غَـــرّاءُ

هِـــيَ أُخْتُنـــا، هِـــيَ نَفْحَـــةٌ مِـــنْ «عَبْقَـــرٍ»   عَبَقَـــتْ بِرَيّـــا طُهْرِهـــا الأَجْـــواءُ

يـــا أُخْـــتُ: لَـــمْ يَسْـــكُبْ يَراعُـــكِ قَطْـــرَةً   إِلّا تَسَلْسَـــلَ مِـــنْ رُؤاكِ رَواءُ

---

[1] يغلب على ظنّي أنّ الشاعرَ يشير إلى الأديبة السوريّة دلال كبّاس، أمينة سرّ ندوة الأدب العربي في الأرْجنتين.

يــا أُخْــتُ: لم تَعْصِــفْ بِقَلْبِــكِ ثَــوْرَةٌ   إلّا وكُــــلُّ قُلُوبِنــــا أَصْـــــداءُ
يــا أُخْــتُ: لَا ابْتَسَــمَ الصَّــباحُ لِســامِرٍ   لَا أَنَّ نـــايٌ، لَا شَـــدَتْ وَرْقــاءُ
لَا افْــتَرَّ ثَغْــرُ الــنَّجْمِ عَــنْ طِيــبِ اللَّمَــى   إنْ لَــمْ يَصُــنْكِ مِــنَ الخُطُــوبِ قَضــاءُ
عَلْيَـــاءُ، إِنْ كانَـــتْ لِغَـــيْرِكِ سُـــلَّمًا   أو تَكْـــأَةً، لَا كانَـــتِ العَلْيَـــاءُ
لَا كانَـــتِ الــدُّنْيَا ولا نَعْماؤُهـــا   إنْ لَـــمْ تُرَفْــرِفْ حَوْلَــكِ الــنَّعْماءُ
لَا الــمُتْرفاتُ ولَا السُّــمُوُّ ولَا العُــلى   إنْ لَـــمْ يُعَصَّـــبْ مِــنْ ذُراكِ لِــواءُ
لَا الــمَكْرُماتُ ولَا السُّــلافُ ولَا الــمُنَى   إنْ لَـــمْ تُحِطْــكِ بِعِطْــرِهِنَّ سَــماءُ

***

أَ«زَكِــيُّ» يــا فَخْــرَ القَــريضِ وأَهْلِــهِ   نُعْـــماكَ فِينـــا مَوْئِـــلٌ ورَجـــاءُ
هَــذِي «دَلالٌ» سَــوْفَ تَرْسُــمُ دَوْحَــةً   مِـــنْ فَيْئِهـــا تَتَـــأَلَّقُ الأَفْيَـــاءُ
فَاسْــمَعْ حَفِيــفَ الــوَرْدِ، بَعْــضُ عَبِــيرِهِ   مـــا سَـــوْفَ تَــنْفَحُ طِيبَــهُ حَسْــناءُ
صـــارَ الحَــديثُ لَهـــا، فَأَنْصِـــتْ إِنَّهـــا   نَجْـــوَى تَـــرِفُّ، وغـــارَةٌ سَـــحّاءُ

«دَلال» تَتَكَلَّم:

أَمّــا أَنــا، والكُــلُّ يَعْــرِفُ مَــنْ أَنــا   مِــنْ رُوحِــيَ الكَــوْنُ الفَسِــيحُ يُضــاءُ
مِــنْ قَلْبِــيَ الإِيــمانُ يَنْبُــعُ طُهْــرُهُ   ويَفِــيضُ مِــنْ رُوحِــي سَــنًا وسَــناءُ
خُــذْ زَهْــرَةً مِــنْ صَــدْرِ أَيَّــةِ رَوْضَــةٍ   أو وَرْدَةً تَزْهُـــو بِهـــا الأَجْـــواءُ
فَــتَرَى هُنــاكَ عُصــارَةً مِــنْ مُهْجَتِــي   مِـــنْ عِطْرِهـــا تَتَــدَفَّقُ الأَشْـــذاءُ

ولَقَــدْ تَــمَرَّسَ بالــمَتاعِبِ كاهِلِــي | حَتَّـــى اضْـــمَحَلَّتْ فَوْقَـــهُ الأَعْبَـــاءُ

أَعْطَيْــتُ أَلْــفَ شَــهادَةٍ عَــنْ صَــوْلَتِي | حَتَّـــى أَقَـــرَّ بِصَـــوْلَتِي الأَعْـــداءُ

ولَقَــدْ سَــخِرْتُ مِــنَ الزَّمــانِ وبَطْشِــهِ | أَنـــا صَـــخْرَةٌ فـــي وَجْهِـــهِ صَـــمّاءُ

أَنــا قَلْعَــةٌ فــي وَجْــهِ كُــلِّ مُشــاكِسٍ | لا الـــرِّيحُ تُرْهِبُنِـــي ولا الأَنْـــواءُ

تَــرَفُ النَّسِــيمِ يَهُزُّنــي ويُثِيرنــي | وتُـــذِيبُنِي بِحَيائِهـــا الأَنْـــداءُ

أَمّــا العَواصِــفُ لا تَمُــرُّ بجَــانِبي | إِلَّا وتَسْـــحَقُها ذُرًى شَـــمّاءُ

أَنــا لَا أَخــافُ مِــنَ الظَّــلامِ وهَوْلِــهِ | فـــي خـــافِقي نُـــورُ الهُـــدَى الوَضّـــاءُ

دِينــي الطَّهــارَةُ والتَّواضُــعُ والتُّقَــى | ومَحَبَّـــةٌ مَوْرُوثَـــةٌ ووَفـــاءُ

وشِـعارِيَ الإِخْـلاصُ يَطْفِـرُ[1] مِـنْ دَمِـي | أَمّـــا «الـــدَّلالُ»، فطابَـــتِ الأَسْـــماءُ

***

أَنـــا لَا يُـــؤَثِّرُ فِـــيَّ قَـــوْلٌ مُغْـــرِضٌ | مُتَحامِـــلٌ، أو نَظْـــرَةٌ شَـــزْراءُ[2]

أو بَسْـــمَةٌ سَـــحَّارَةٌ مَكّـــارَةٌ | أو نِيَّـــةٌ غَـــدّارَةٌ حَمْقـــاءُ

لا الـــمَدْحُ يُضْـــعِفُني ولا الإِطْـــراءُ | هَيْهـــاتَ أَنْ يُـــودِي بِـــيَ الإِغْـــراءُ

إِنِّـــي أَخَـــذْتُ مِـــنَ الزَّمـــانِ تَجارِبـــي | لَا لَـــنْ تُغَـــرِّرَ بـــي مُنًـــى شَـــوْهاءُ

وأَنـــا فَتـــاةٌ لا يُشَـــكُّ بِرِقَّتِـــي | ونُعُـــومَتي، لكِنَّنـــي دَهْيَـــاءُ[3]

---

[1] يَطْفِر: يَتَدفَّق.

[2] عَيْنٌ شَزْرَاء: عَيْنٌ مُحْمَرَّةٌ مِنَ الغَضَب.

[3] دَهْيَاء: دَاهِيَة، دَهْماء.

فِـــيَّ الحَمامَــةُ واللَّبُــؤَةُ، فَاحْـــذَرَنْ   إنَّ الأَظْـــافِرَ يـــا «زَكِـــيُّ» وِقـــاءُ
والـــرِّيشُ يُعْطِــي الـــدِّفْءَ، يَــنْعَمُ تَحْتَــهُ   قَلْـــبٌ يُمَيِّـــزُهُ هُـــدًى ونَقـــاءُ
مَـــنْ رامَ مِنِّـــي الخَـــيْرَ يَنْـــزِلْ جَنَّـــةً   فَيْحـــاءَ، هَـــلْ ضـــاقَتْ بِـــهِ الفَيْحـــاءُ؟
أو مَـــنْ يَـــرُمْ شَرًّا يُصـــادِفْ حَظَّـــهُ   مَـــنْ حَظُّـــهُ: البَأْســـاءُ والتَّأْســـاءُ[1]
فـــي نَفْسِـــيَ الـــدُّنْيا وسِرُّ نَعِيمِهـــا   وجَمالُهـــا والعِطْـــرُ والصَّـــهْباءُ[2]
مِـــنْ قَلْبِـــيَ الخَفّـــاقِ تَظْهَـــرُ رَوْضَـــتِي   ومِـــنَ الـــمَشاعِرِ تُمْـــرِعُ الصَّـــحْراءُ
ولِـــيَ اليَراعَـــةُ، أَيُّ بَـــرْقٍ خـــاطِفٍ   لَـــمْ تَسْـــتَثِرْهُ شَـــباتُها السَّـــخْواءُ[3]
مِـــنْ ثَغْرِهـــا تُـــرَفُ الجَـــمالِ وعِطْـــرُهُ   وبَشاشَـــةُ الأَحْـــلامِ، وَهْـــيَ وِضـــاءُ
هِـــيَ وَحْـــدَها دُنْيـــا، وكُـــلُّ يَراعَـــةٍ   أُخْـــرَى، أَمـــامَ يَراعَتِـــي، شَـــمْطاءُ

***

إنِّـــي لَأَعْـــرِفُ أَيَّ شَـــخْصٍ صادِقٍ   لَا تَنْصَـــحَنَّ، فَكُلُّكُـــمْ زُمَـــلاءُ
الـــمُخْلِصُونَ، بِـــدُونِ رَيْـــبٍ، قِلَّـــةٌ   بـــاقي الرِّجَـــالِ، مَـــعَ النِّســـاءِ، سَـــواءُ
دَعْ عَنْـــكَ تَهْـــديمَ الأَحِبَّـــةِ إِنَّـــهُ   خَطَـــرٌ، وأَنْـــتَ لِصَـــفِّهِمْ بَنّـــاءُ
أَتَظَـــلُّ تُفْتِـــي يـــا خَلِيفَـــةَ «مالِـــكٍ»[4]؟   ومَتَـــى أُجِيـــزَ بِمَهْجَـــرٍ إِفْتـــاءُ

---

[1] التَّأْساء: التصبُّر.

[2] الصَّهْبَاء: الخَمْر.

[3] السَّخْواء: الأَرْضُ السَّهْلة الواسِعة.

[4] لعلّه يقصد مالك بن أنس، أحدَ كبار أصحاب الـمذاهب الإسلامية، وفيه الـمقولة الشهيرة: «لا يُفتى ومالكٌ فـي الـمدينة».

هَــلّا اتّــأَدَّتَ وقَــدْ وَصَــلَتْ إلى الــذُّرَى؟ هَـــــلْ بَعْـــــدُ شِيْءٌ اِسْـــــمُهُ العَلْيَـــاءُ؟

***

قُــلْ «لِلأَمِــيرِ»[1] إذا ظَفَــرْتَ بِرُوحِــهِ: هَيْهـــــاتَ مِـــــثْلي أَنْ يَغُـــــرَّ ثَنـــــاءُ

حَتَّـــى ولا نُصْـــحُ «القَناصِـــلِ» كُلِّهِـــمْ بَعْـــضُ الـــمَدائِحِ حَشْــوُهُنَّ هِجــاءُ

«شَــوْقِي» العَظِــيمُ أَســاءَ فَهْــمَ قُلُوبِنــا كُـــلُّ الرِّجـــالِ الطيِّبِـــينَ أَســـاؤُوا!

قَلْـــبُ «الحَمامَـــةِ» صَـــفْحَةٌ بَيْضـــاءُ وخَمِيلَــــــةٌ مِعْطــــــارَةٌ غَنَّـــــاءُ

لكِنَّهـــا فـــي سِرِّهـــا قَـــدْ أَدْرَكَـــتْ مَـــنْ مِـــنْكُمُ الـــمَسْرُورُ والـــمُسْتاءُ

مَـــنْ كـــانَ يَمْـــدَحُ عَـــنْ وَلاءٍ صـــادِقٍ أو مَـــنْ تَعِـــيشُ بِنَفْسِـــهِ البَغْضـــاءُ

قَلْـــبُ الـــمُحِبِّ يَبِـــينُ عِنْـــدَ كَلامِـــهِ هَيْهـــاتَ يُوجَـــدُ فـــي الـــبَرِيءِ رِيَـــاءُ

إنَّ الإِخـــاءَ السَـــمْحَ يَسْـــطَعُ طِيبُـــهُ وتَضُـــوعُ مِنْـــهُ شَـــمائِلٌ غَـــرّاءُ

***

جَنَّـــدْتُ طاقاتِـــي لِـــخِدْمَةِ «نَـــدْوَةٍ» زَهْـــراءَ لَـــمْ تَعْصِـــفْ بِهـــا الأَهْـــوَاءُ

هِـــــيَ نَـــــدْوَةٌ أَدَبِيَّـــــةٌ عَرَبِيَّـــــةٌ وُلِـــدَ اليَقِـــينُ بِهـــا وشَـــبَّ رَجـــاءُ

وبِـــرُوحِ تَضْـــحِيَةٍ قَبِلْـــتُ مُهِمَّتِـــي بَعْـــضُ القَبُـــولِ مُصِـــيبَةٌ نَكْـــراءُ

إِنِّـــي أُفَـــاخِرُ أَنْ أَكُـــونَ «أَمِينَـــةً» لِلسِّـــرِّ[2]، أَيْـــنَ السِّـــرُّ يـــا أُمَنـــاءُ؟

---

[1] لعلّه يقصد أمير الشعراء أحمد شوقي، مثلما يَشِي بذلك السِّياق اللاحِق.

[2] ما زال الحديثُ عن الأديبة دلال كبّاس.

السِّـــرُّ كُـــلُّ السِّـــرِّ فـــي أَقْلامِكُـــمْ وهُجُـــومُكُمْ ورُدُودُكُـــمْ إِنْشـــاءُ
إِنّـــي أُحَبِّـــذُ كُـــلَّ نَقْـــدٍ مُخْلِـــصٍ أَمّـــا التَّحامُـــلُ مـــا لَـــهُ شُـــفَعاءُ
بالنَّقْـــدِ نُصْـــلِحُ ذاتَنـــا وكِيانَنـــا وبِهَدْيِـــهِ تَـــتَقَلَّصُ الأَخْطـــاءُ
والنَّقْـــدُ بَنَّـــاءٌ، ولكِـــنْ بَعْضُـــهُ هَـــدْمٌ، وهَـــلْ بالهَـــدْمِ تَـــمَّ بِنـــاءُ؟
والنَّقْـــدُ، لَا واللهِ لا تَرْضَـــى العُـــلى عَـــنْ أَنْ يَكـــونَ غِـــذاءَهُ الشَّـــحْناءُ
مَرْحَـــى لِنَقْـــدٍ لَا يَجُـــرُّ لِفُرْقَـــةٍ أَهْدافُـــهُ التَّرْمِـــيمُ والإِنْشـــاءُ
إِنّـــي لَأَخْشَـــى أَنْ يُبَعْثِـــرَ صَـــفَّكُمْ بـــاغٍ، ويَسْـــعَى بَيْـــنكُمْ مَشّـــاءُ

***

إِنّـــي وَهَبْـــتُ سَعادَتِـــي لِعَقِيدَتِـــي هَيْهـــاتَ يُثْنِينـــي أَذًى وعَنـــاءُ
قَلَمِـــي عَصَـــرْتُ مِـــدادَهُ مِـــنْ خـــافِقِي فـــإِذا النُّجُـــومُ عَبِـــيرُهُ وذُكـــاءُ[1]
إِنّـــي ارْتَقَيْـــتُ إلى السَّـــحابِ بِهِمَّتِـــي لا الجِـــدُّ أَقْعَدَنـــي، ولا الإِعْيَـــاءُ
ولَسَـــوْفَ أَنْقُـــشُ اِسْـــمَ «نَـــدْوَتِنا» عـــلى هـــامِ الزَّمـــانِ لِيَخْلُـــدَ الأُدَبـــاءُ
أَعْطَيْـــتُكُمْ رُوحِـــي تُنِـــيرُ سَـــبِيلَكُمْ ولِـــيَ الشَّـــقاءُ، وأَنْـــتُمُ السُّـــعَداءُ
وبِنُـــورِ شَـــمْعَتِيَ الذَّبِيحَـــةِ حَلَّقَـــتْ أَقْلامُكُـــمْ يـــا أَيُّهـــا البُلَغـــاءُ
فـــإِذا مُـــدِحْتُ، فَكُـــلُّ مَـــدْحٍ صـــادِقٍ وإذا عُقِقْـــتُ يَعُقُّنـــي السُّـــفَهاءُ
قَلَمِـــي يُعَطِّـــرُ دَرْبَكُـــمْ بأَرِيجِـــهِ وعـــلى هُـــداهُ تَطَـــوَّرَتْ أَسْـــماءُ

---

[1] ذُكاء: الشَّمْس.

فـــي ظِـــلِّ «قـــافِلَتي» تَسِــيرُ جُمُــوعُكُمْ   أَضْـــحَتْ تَقُـــودُ جُمُـــوعَكُمْ حَـــوَّاءُ

قُولُـــوا لآدَمَ مـــا يَشـــاءُ طُمُـــوحُكُمْ   وغُـــرُورُكُمْ والزَّهْـــوُ والخُـــيَلاءُ

فَسَـــيَرْجِعُ التّـــاريخُ يَلْعَـــبُ دَوْرَهُ   وتُطِـــلُّ مِـــنْ عَلْيَائِهـــا «الزَّبّـــاءُ»[1]

***

إِنَّ «الــمَعَرّي»[2] قَـدْ قَسـا فـي حُكْمِـهِ   مُـــــذْ أَوَّلَـــــتْ آراءَهُ الغَوْغـــــاءُ

مِـــنْ كُـــلِّ مَحْـــرُومٍ يُعانـــي ثَـــوْرَةً   مَكْبُوتَـــةً، ضـــاقَتْ بِهـــا الحَوْبـــاءُ[3]

فَتَفَجَّـــرَتْ حِقْـــدًا، ورَأْيًـــا ظالِـــمًا   مـــاذا تُشـــاهِدُ مُقْلَـــةٌ رَمْـــداءُ

الــرَّوْضُ رَيّـــانٌ ومِـــلْءُ جَوانِـــبِ الــدْ   ــدُنْيَا أَرِيـــجٌ مُـــتْرَفٌ وسَـــناءُ

والطِّيـــبُ يَـــنْفَحُ كُـــلَّ أُفْـــقٍ بالشَّـــذا   والكَـــوْنُ يَغْمُـــرُهُ نَـــدًى وضِـــيَاءُ

والنُّـــورُ لَـــيْسَ يَنـــالُ مِـــنْ إِشْراقِـــهِ   رَأْيٌ أَسَـــــفَّ ونَظْـــــرَةٌ عَمْيَـــــاءُ

فـــإذا عَجَـــزْتَ عَـــنِ التَّـــنَعُّمِ بـــالهَوَى   مـــا ذَنْـــبُهُنَّ، وحَوْلَـــكَ الـــنَّعْماءُ

دُنْيَـــا مِـــنَ الحُسْـــنِ البَهِـــيجِ يُرِيقُـــهُ   أَلَـــقٌ وعِطْـــرٌ مـــائِجٌ وبَهـــاءُ

مِـــنْ سِـــحْرِهِ عَـــبَّ السَّـــعادَةَ والـــمُنَى   وإذا جَبُنْـــتَ، فَأَنْـــتَ مِنْـــهُ بَـــراءُ

***

هُـــنَّ الحَيَـــاةُ وسِرُّهـــا ونَعِيمُهـــا   وجَمالُهـــا، والصَّـــفْحَةُ البَيْضـــاءُ

---

[1] زَنّوبيا، ملكة تُدْمر.

[2] إشارة إلى الشاعر والفيلسوف العربـي أبي العلاء الـمَعرّي.

[3] الحَوْباء: النَّفْس.

هُـــنَّ السَّـــعادَةُ، أَيُّ نُعْمَـــى رَفْرَفَـــتْ ... إِنْ لَــــمْ تُرِقْهَـــا غـــادَةٌ غَيْـــداءُ

والثَّغْــرُ مِـــنْ بَسَـــماتِهِ قَـــدْ أَشْرَقَـــتْ ... مُتَـــعُ الحَيــاةِ ونُورُهـــا الوَضَّـــاءُ

والطَّــرْفُ، كَـــمْ سَــبَحَتْ عَلَيْــهِ أَشِـعَّةٌ ... ورُؤًى، كَــــأَنَّ رَفِيفَـــــهُ مِينـــــاءُ

سِـــلْكٌ مِـــنَ النَّظَـــراتِ يَعْـــبُرُ فَوْقَهـــا ... طَيْـــفُ الـــمُنَى وسَـــعادَةٌ وهَنـــاءُ

دُنْيَـــا مِـــنَ الحُلْـــمِ الـــمُجَنَّحِ عَذْبَـــةٌ ... رَيّـــا، تُعَطِّـــرُ أُفْقَهـــا «لَــــمْيَاءُ»

فَـاغْرِفْ مِـنَ العَسَـلِ الشَّـهِيِّ، ولا تَخَـفْ ... كُـــلُّ القُلُـــوبِ الـــمُتْرَفاتُ مِـــلاءُ

والحُسْـــنُ مِـــنْ نِعَـــمِ الإِلَـــهِ وفَضْـــلِهِ ... أَحْـــلَى شَـــمائِلِهِ مُنًـــى وعَطـــاءُ

والنَّبْـــعُ يَنْتَظِـــرُ الـــوُرُودَ، ودُونَـــهُ ... مَـــرْضى، أُبـــاةٌ، قُنَّـــعٌ، جُبَنـــاءُ

***

أَمّـــا سِـــيَادَتُهُ[1] فَحَسْـــبِي لَفْتَـــةٌ ... أَبَوِيَّـــةٌ مِـــنْ قَلْبِـــهِ، ودُعـــاءُ

إِنّـــي لَيُسْعِدُنـــي كَـــرِيمُ ثَنائِـــهِ ... أَحْـــلَى الثَّنـــاءِ يُرِيقُـــهُ الآبـــاءُ

صَــــلَوَاتُهُ، دَعَوَاتُـــــهُ، بَرَكاتُـــــهُ ... ذُخْـــرٌ لَنـــا، لَـــوْ يَرْعَـــوِي الجُهَـــلاءُ

دانَـــتْ لَـــهُ الفُصْـــحَى، فأَمْسَـــى حُجَّـــةً ... هُـــوَ بَيْنَنـــا مَوْسُـــوعَةٌ عَصْـــماءُ

طـــالَ الغِيَـــابُ، فـــأَيْنَ مِنّـــا مُهْجَـــةٌ ... حَـــرَّى؟ وأَيْـــنَ القَلْـــبُ والأَحْشـــاءُ؟

كُـــلُّ العُفَـــاةِ الطيِّبِـــينَ تَيَتَّمُـــوا ... بِغِيابِـــهِ، وتَحَسَّـــرَ العُقَـــلاءُ

قَـــدْ عَمَّـــتِ الفَـــوْضَى، ولا مِـــنْ مُصْـــلِحٍ ... أَيْـــنَ الرَّسُـــولُ الـــمُصْلِحُ الرَّفّـــاءُ؟

***

[1] إشارة إلى الـمطران صويتي، راعي الطائفة الأرثوذكسيّة فـي الأرجنتين حِينذاك.

هــذا «زَكِــيٌّ» بالشَّــباةِ[1] يَجُــولُ بَيْـــ ـــنَ جُمُوعِنــا، ويَصُــولُ حَيْــثُ يَشــاءُ

أَغْـــوَى أَبـــاهُ مَـــرَّتَيْنِ، مُعَـــذَّبٌ بالنّــارِ، هَــلْ يَخْلُــو لَــهُ الإِغْــواءُ؟[2]

وإذا بِـــهِ يُغْوِيـــهِ أَلْفًـــا، يـــا تُـــرَى أَيْــنَ الــدَّوَاءُ؟ وفـــي «زَكِــيَّ» الــدَّاءُ

يـــا أَيُّهـــا الشَّـــيْطانُ يَكْفِـــي واحِـــدٌ تُغْـــوِي أَبًـــا، أَكَـــذلِكَ الأَبْنـــاءُ؟

***

حَتَّـــى زَمِيـــلٌ قَـــدْ عَرَفْـــتُ وَلاءَهُ ووَفـــاءَهُ، فَعَنـــا لَـــهُ الهَجّـــاءُ

هُـــوَ فـــي البَرازيـــلِ الوَسـيعَةِ سـائِحٌ النُّـــورُ بَعْـــضُ مَسِـــيرِهِ والـــماءُ

وهَـــواهُ، لَـــمْ يَكْـــتُمْ هَـــواهُ فَضَـــرَّجَتْ تِلْـــكَ البِقـــاعَ دُمُوعُـــهُ الخَرْســـاءُ

إِنَّ السَّـــحابَ سَـــحائِبٌ مِـــنْ صَـــدْرِهِ قَلْـــبٌ يُفَطِّـــرُهُ أَسًـــى، وبُكـــاءُ

لَـــمْ يَعْـــرِفِ الإِينـــاسَ بَعْـــدَ فِراقِنـــا لا بَـــــدْرٌ يُؤْنِسُـــــهُ، ولا وَرْقـــــاءُ

لَهْــفَ الرِّفــاقِ عــلى زَمِيــلٍ خَضَّــبَتْ وَجْـــهَ السَّـــماءِ دُمُوعُـــهُ الحَمْـــراءُ

نَفَـــسٌ مِـــنَ البُرْكـــانِ كـــانَ لَـــهِيبُهُ بَعْـــضُ اللَّهِيـــبِ سَـــحابَةٌ سَـــوْداءُ

قُولُـــوا لَـــهُ يَأْتِـــي إِلَيْنـــا إِنَّنـــا نَشْـــتاقُهُ، يَشْـــتاقُهُ الرُّفَقـــاءُ

ودُمُوعُـــهُ، رَشَـــفَ الرَّبِيـــعُ دُمُوعَـــهُ فَتَعَطَّـــرَتْ بِدُمُوعِـــهِ الغَـــبْراءُ

إِنّـــي لَـــمَحْتُ بَرِيقَهـــا فـــي «رِيشَـــتِي» فَتَنـــاثَرَتْ مِـــنْ طِيبِهـــا الأَضْـــواءُ

---

[1] الشَّباة: حَدُّ الشيء أو طَرَفُه.

[2] قصّة هذا البيت أنّ الشاعر الـمَهْجري زكي قنصل نشر نكتةً جاء فيها أنّ أحدَ الكهنة سأل أباه: كم مرّةً زرت الكنيسة يا «أبا الياس»، فأجابه: والله يا محترم، أَغْواني الشيطان مرَّتين.

قُومُــوا مَعِــي، هَــذِي طُيُــوفُ حَنِينِــهِ تَــدْعُو الرِّفَــاقَ، أَمــا يُلَبَّــى نِــداءُ

مُتَلَهِّـــفٌ لِلقائِنـــا، مُتَحَسِّـــرٌ لِفِراقِنـــا، مُتَأَلِّـــمٌ مُسْـــتاءُ

قُومُــوا مَعِــي، إِنَّ الــمُرُوَّةَ تَقْتَضِــي مِنَّــا الوَفــاءَ، ويَقْتَضِــيهِ إِخــاءُ

أو فَــاحْجُبُوا قَلَــمَ «الزَّكِــيِّ» بِقُمْقُــمٍ كَــيْ لا تُجَــرَّحَ هِمَّــةٌ قَعْســاءُ

إِنَّ الثَّنــاءَ عَــلَيَّ فــي كَلِماتِــهِ نُبْــلٌ وصِــدْقٌ لَــيْسَ فِيــهِ رِيَــاءُ

أَتَغــارُ مِنْــهُ يــا «زَكِــيُّ» وعِنْــدَهُ، مِثْــلُ الطُّفولَــةِ، نِيَّــةٌ بَيْضــاءُ

***

قــالُوا: الــمُحالُ ثَلاثَــةٌ، فــأَجَبْتُهُمْ: غَــطَّ «الزَّكِــيُّ»، وطــارَتِ العَنْقــاءُ

إِنَّ الــمُحالَ بــأَنْ يُسَــلِّمَ أَنَّنــا فــي «نَــدْوَةٍ أَدَبِيَّــةٍ» أَعْضــاءُ

حَتَّــى «رَئِــيسُ السِّــنِّ» لَــيْسَ رَئِيسَــهُ مَــنْ يَعْــتَرِضْ فَنَصِــيبُهُ الفَأْفــاءُ[1]

لَا شَيْءَ يَعْلُــوهُ، كَــأَنَّ سَــماءَنا مِــنْ تَحْتِــهِ، وكَأَنَّنــا أُجَــراءُ

بَــلْ إِنَّــهُ الأَعْــلى، وكُــلُّ «قَناصِــلِ» الــدْ ــدُنْيَا لِأَجْــلِ سُــمُوِّهِ سُــفَراءُ

مِــنْ بُرْجِــهِ العَــاجِيِّ يَنْظُــرُ تَحْتَــهُ فــإِذا البَرَايَــا أَعْبُــدٌ وإِمــاءُ

أَيْــنَ الفَطاحِــلُ؟ أَيْــنَ دُنْيَــا عَبْقَــرٍ؟ أَيْــنَ الكُــماةُ السَّــادَةُ القُــدَماءُ؟

اَلْكُــلُّ أَصْــفارٌ، ولَــوْلَا حَفْنَــةٌ مِــنْ عَطْفِــهِ لَاقَــى الجَمِيــعَ عَفــاءُ

«حَسّــانُ» و «العَبّــاسُ» و «ابْــنُ خَفاجَــةٍ» و «البُحْــتُرِيُّ» و «كَعْــبُ» و «الخَنْســاءُ»

---

[1] الفَأْفاء: التأفُّف.

و «أَبُــو نُـــواسٍ» و «الفَــرَزْدَقُ» قَبْلَــهُ   الكُـــــلُّ أَتْبـــــاعٌ لَـــــهُ، عُمَـــــلاءُ

و «عُكَــاظُ» لَــوْ عــادَتْ إِلَيْــهِ «سُــوقُهُ»   وأَمِـــــيرُهُ و «القُبَّـــــةُ الحَمْـــــراءُ»

وأَطَــلَّ مِــنْ فَــوْقِ الجَمِيــعِ «زَكِيُّنــا»   وَقَــفَ «الأَمِــيرُ»، وطَأْطَــأَ الشُّــعَراءُ

***

يــا رَبِّ هَــبْ هَــذا «الزَّكِــيَّ» قَناعَــةً   لا الـــمَجْدُ يُقْنِعُـــهُ، ولا غَلْـــواءُ[1]

«غَلْــواءُ» لاقَــتْ فــي شَــمائِلِ قُنْصُــلٍ   مــا لَــمْ تَجِــدْهُ «بعُــرْوَةٍ» عَفْــراءُ

طُــوبَى لَــهُ، باهَــتْ بِــهِ غَرْناطَــةٌ   وتَناقَلَـــتْ أَخْبـــارَهُ «صَـــنْعاءُ»

ولَكَـــمْ تَغَنَّـــتْ باسْـــمِهِ آفاقُنـــا   «لُبْنـــانُ» و «الفَيْحـــاءُ» و «الـــزَّوْراءُ»!

لَــوْ كــانَ فِيــهِ مِــنْ تَواضُــعِ «قِسِّــنا»   شَيْءٌ لَكـــانَ نَصِـــيبَهُ أَشْـــيَاءُ

وأَبٌ لَنــا فــي «بُوينوســيرس»[2] يَشُــدُّهُ   مِـــنْ ثَوْبِـــهِ، نِعْـــمَ «الأبُ إِيلْيَـــاءُ»

لَــوْلَا «أَبُونــا الْيَــاسُ»[3] عَــمَّ هُجُومُــهُ   حَتَّـــى تَنـــالَ نَصِـــيبَها الفَيْحـــاءُ

***

«إِلْيَــاسُ»[4] أَنْــتَ كَبِــيرُ إِخْوَتِــكَ الأُلَــى   عَــبَرُوا الــمُحِيطَ مُغَــرِّبِينَ وجــاؤُوا

مِــنْ فَــوْقِ مَنْكِبِــكَ الرَّفِيــعِ تَسَــلَّقُوا   قِمَــمَ الزَّمــانِ وحَلَّقُــوا مــا شــاؤُوا

---

[1] غَلْواء: نجيّة الشاعِر زكي قُنْصُل.

[2] عاصمة الأَرْجنتين.

[3] الخوري إِلْيَاس أَنْدَراوس.

[4] الشاعر والأديب إليَاس قنصل، شقيق الشاعر زكي قنصل؛ وله عدّة مقالات بعنوان «أكاذيب صادقة».

حَلَّقْـــتَ حَتَّـــى صِرْتَ بَـــدْرًا مُشْـــرِقًا   مِنْـــهُ العَبِـــيرُ السَّـــمْحُ والـــلّأْلَاءُ
قَلَـــمٌ كـــأَنَّ اللهَ صَـــبَّ مِـــدادَهُ   مِـــنْ رُوحِـــهِ، فَتَأَنَّقَـــتْ أَزْيَـــاءُ
آمَنْـــتُ بـــالأَدَبِ الرَّفِيـــعِ يُرِيقُـــهُ   عِطْـــرٌ، فَتَسْـــطَعُ صَـــفْحَةٌ زَهْـــراءُ
آمَنْـــتُ بالسِّـــحْرِ الـــمُبِينِ يَزُفُّـــهُ   قَلَـــمٌ، فَتَنْـــدَى مُقْلَـــةٌ هَـــدْباءُ
آمَنْـــتُ أَنَّ «إِلْيَـــاسَ» لَـــيْسَ يَنالُـــهُ   صَـــقْرٌ، ولا نَسْـــرٌ، ولا شَـــفْوَاءُ[1]
آمَنْـــتُ أَنَّ مَـــداهُ قَـــدْ جـــازَ الـــمَدَى   أَيْـــنَ النُّجُـــومُ الزُّهْـــرُ والزَّهْـــراءُ؟
آمَنْـــتُ بالكَـــذِبِ الطَّرِيـــفِ كأَنَّـــهُ   صِـــدْقٌ عَلَيْـــهِ غِلالَـــةٌ شَـــوْهاءُ
إِنَّ الأَكاذِيـــبَ الصَّـــحِيحَةَ أَمْرَعَـــتْ   حَتَّـــى كـــأَنَّ حُقُولَهـــا أَهْـــراءُ[2]

***

لَـــيْسَ الأَديـــبُ سِـــوَى رَسُـــولٍ مُلْهَـــمٍ   مِـــنْ رَبِّـــهِ، فَعَطـــاؤُهُ إِيحـــاءُ
والأَنْبِيَـــاءُ، وإِنْ تَعالَـــى شَـــأْنُهُمْ،   وسَـــمَتْ رِســـالَتُهُمْ، فَهُـــمْ أُدَبـــاءُ
إِنَّ البَلاغَـــةَ عَـــزَّزَتْ مِـــنْ قَـــدْرِهِمْ   نُصَـــراءُ فِكْـــرَتِهِمْ هُـــمُ النُّصَـــراءُ
لِلْأَتْقِيَـــاءِ سَـــبِيلُ خَـــيْرٍ واحِـــدٌ   أَمّـــا الأَديـــب، فـــأَيْنَ مِنْـــهُ سَـــماءُ

***

والفِكْـــرُ لَـــيْسَ هُنـــاكَ أَسْـــمَى غايَـــةً   مِنْـــهُ، كَـــأَنَّ الكَـــوْنَ مِنْـــهُ عَطـــاءُ
الفِكْـــرُ سِرُّ اللهِ لَـــيْسَ تَحُـــدُّهُ   آفاقُنـــا والقَبَّـــةُ الزَّرْقـــاءُ

---

[1] الشَّفْواء: العُقاب.

[2] أَهْراء: جَمْع هُرْي، والهُرْي: بيتٌ كبيرٌ ضخمٌ يُجمَعُ فيه طَعام البُرُّ ونحوه ليوزّعَه السُّلطان.

مِـــنْ أَيْـــنَ يَأْتـــي الفِكْـــرُ؟ أَيْـــنَ مَسِـــيرُهُ؟ فـــي لَحْظَـــةٍ يَنْســـابُ حَيْـــثُ يَشـــاءُ

النُّـــــورُ بَعْـــــضُ بَرِيقِـــهِ ووَميضِـــهِ والأَرْضُ لَـــــوْلَا خِصْـــــبُهُ قَفْـــــراءُ

والكائِنـــاتُ جَمِيعُهـــا مِـــنْ فَيْضِـــهِ قَـــبَسٌ يُضِـــيءُ وجَنَّـــةٌ فَيْحـــاءُ

لَـــوْلَا التُّقَـــى لَوَجَـــدْتُ فِيـــهِ صـــانِعًا لِلْكَـــوْنِ، جَـــلَّ الصَّـــانِعُ البَنَّـــاءُ

هَـــلْ يَسْـــتَطِيعُ العِلْـــمُ كَشْـــفَ غُمُوضِـــهِ هَيْهـــاتَ يَكْشِـــفُ سِرَّهُ عُلَـــماءُ

الـــمَرْءُ يَبْحَـــثُ عَـــنْ قُـــوًى جَبّـــارَةٍ فـــي غَـــيْرِهِ، وبِنَفْسِـــهِ الأَنْبـــاءُ

سِرُّ الطَّبِيعَـــةِ كـــامِنٌ فـــي رُوحِـــهِ وعَلَيْـــهِ مِـــنْ جَهْـــلِ الـــمَصِيرِ غِشـــاءُ

سُـــبْحانَ مَـــنْ جَعَـــلَ الطَّبِيعَـــةَ مَسْـــرَحًا فـــي رَحْبِهـــا تَتَنـــافَسُ الأَهْـــواءُ

يـــا ربِّ عَفْـــوَكَ، كُـــلُّ فِكْـــرٍ ســـابِحٍ هُـــوَ مِـــنْ مَعِينِـــكَ دَفْقَـــةٌ وسَـــناءُ

***

«إِلْيَـــاسُ» قُـــلْ «لِزَكِيِّنـــا» وذَكِيِّنـــا: إِنَّ السُّـــــمُوَّ تَواضُـــــعٌ وإِبـــــاءُ

كَفْكَـــفِ مِـــنَ الغَلْـــوَاءِ تَظْفَـــرْ بالـــمُنَى هَيْهـــاتَ تَظْفَـــرُ بالـــمُنَى غَلْـــوَاءُ

وَاكْـــبَحْ جِمـــاحَ الـــنَّفْسِ، بَعْـــضُ صِـــفاتِها فـــي الـــمُؤْمِنِينَ تَقِيَّـــةٌ وحَيـــاءُ

قُـــلْ «لِلزَّكِـــيِّ» يَحُـــدّ مِـــنْ حَمَلاتِـــهِ لا يَتَّهِمْنـــــا، إِنَّنـــــا شُرَفـــــاءُ

أَقْلامُنـــــا لا تَبْخَسُـــــوها حَقَّهـــــا مِنْهـــا السَّـــنَى والفَـــيْءُ والأَنْـــداءُ

لَـــمْ يَعْتَرِضْـــها مَعْشَـــرٌ أو عُصْـــبَةٌ إِلَّا وبـــاءَتْ بالخَســـارِ وبـــاؤُوا

فِيهـــا شَـــمائِلُنا وعِـــزُّ نُفُوسِـــنا مـــا فـــي شَـــمائِلِنا أَذًى ومِـــراءُ

مـــا أَنْكَـــرَ الـــزُّمَلاءُ قَـــدْرَ نُبُـــوغِكُمْ   أَنْـــتُمْ عِـــمادُ الفَـــنِّ والأُمَـــراءُ

فَتَـــذَكَّرُوا نِعَـــمَ الإِلَـــهِ وفَضْـــلِهِ   اللهُ أَكْـــبَرُ، مـــا لَكُـــمْ نُظَـــراءُ

***

أَمّـــا الرِّفـــاقُ «بِنَـــدْوَةٍ أَدَبِيّـــةٍ»[1]   لَـــنْ يَهْـــدَأوا وأَمـــامَهُمْ عَـــدّاءُ

هَيْهـــاتَ يَلْحَقُـــهُ أَدِيـــبٌ مِـــنْهُمُ   والأَرْضُ مَيْـــدانٌ لَـــهُ وفَضـــاءُ

وإذا نَسِـــيتُ أَخًـــا فَتِلْـــكَ مُصِـــيبَتِي   هَيْهـــاتَ يَشْـــفَعُ بِـــي تُقًّـــى وتُقـــاءُ

«حَنّـــا»[2] أَبانـــا مِـــنْ دُعائِـــكَ نَفْحَـــةٌ   كَـــيْ تَسْـــتَكِينَ عَواطِـــفٌ هَوْجـــاءُ

كَـــيْ يَـــأْمَنَ القَلَـــمُ العِثـــارَ ودُونَـــهُ   بَعْـــضُ القِيافـــي ودُونَهـــا بَيْـــداءُ

كَـــيْ لا يُجَرِّحَنـــا الرِّفـــاقُ بِهَمْسَـــةٍ   ويَنالَنـــا مِـــنْ إِصْـــبَعٍ إِيـــماءُ

كَـــيْ يَغْفِـــرَ «العِيـــدُ»[3] الصَّـــدِيقُ ذُنُوبَنـــا   ويَنالَنـــا مِـــنْ لُطْفِـــهِ إِعْفـــاءُ

كَـــيْ يَـــتْرُكَ الأُدَبـــاءُ فـــي أَبْحـــاثِهِمْ   وتَنـــالَ مِـــنْ غُفْرانِـــهِ الأَخْطـــاءُ

كَـــيْ يَـــتْرُكَ «القـــامُوسَ» يَقْبَـــعُ هادِئًـــا   لا صَرْفُ، لا إِنْشـــاءُ، لا إِمْـــلاءُ

إِنَّ الـــمَعاجِمَ أَصْـــبَحَتْ فـــي مِحْنَـــةٍ   تَشْـــكُو التَّقَعُّـــرَ، والتَّقَعُّـــرُ داءُ

إِنَّ «الكِســـائي» و «الخَلِيـــلَ» و «أَحْمَـــدًا»   مـــاتُوا، وعاشَـــتْ بَعْـــدَهُمْ لَكْنـــاءُ

فَاحْمَـــدْ إِلَـــهَكَ يـــا صَـــدِيقِي إِنَّهُـــمْ   مـــاتُوا، وإِنّـــا بَعْـــدَهُمْ وُرَثـــاءُ

---

[1] إشارة إلى نَدْوة الأدب العربي في الأرجنتين.

[2] إشارة إلى الأَرشمِندريت حنّا عبّود.

[3] إشارة إلى يُوسُف العِيد.

يـــا عَـــيْنُ، لَا وَسَـــنٌ ولا إِغْفـــاءُ   يـــا رَبِّ، نِعْـــمَ الـــمُقْلَةُ الشَّـــتْراءُ

***

«الصّـــارِميُّ»[1] وخُلْقُـــهُ، ورَزانَـــةٌ   ورَصـــانَةٌ ومَواهِـــبٌ غَـــرّاءُ

وتُقًـــى يُجَلِّلُـــهُ الوَقـــارُ وحِكْمَـــةٌ   ومُـــرُوءَةٌ عَرَبِيّـــةٌ شَـــمّاءُ

وشَـــمائِلٌ وفَضـــائِلٌ ومَكـــارِمٌ   ومَناقِـــبٌ ومَحامِـــدٌ وسَـــخاءُ

و «الصّـــارِميُّ» تَخَرَّجُـــوا مِـــنْ دارِهِ الْـــ   أُدَبـــاءُ والكُتّـــابُ والحُكَـــماءُ

ولَقَـــدْ أَدَلَّ عَـــلى الزَّمـــانِ بِـــأُسْرَةٍ   عَرَبِيَّـــةٍ أَبْناؤُهـــا نُجَبـــاءُ

نِعْـــمَ الأَبُ الأُسْـــتاذُ قَـــدْ عَـــزَّتْ بِـــهِ الْـــ   ـفُصْـــحَى، ودانَ لِرَأْيِـــهِ الفُصَـــحاءُ

***

«عَبْـدُ اللَّطِيـفِ»[2]، وأَيْـنَ مِنْـهُ خُشُـونَةٌ   تُـــزْرِي بِـــهِ؟ فَلْيَرْعَـــوِ الخُشَـــناءُ

هَـــذِي الخُشُـــونَةُ مَيَّزَتْهـــا إِلْفَـــةٌ   وهَـــوًى نَقِـــيٌّ طـــاهِرٌ ووَلاءُ

اللُّطْـــفُ فِيـــهِ سَـــجِيَّةٌ مَوْرُوثَـــةٌ   مِـــنْ أُسْرَةٍ آباؤُهـــا نُـــبَلاءُ

هُـــوَ أَخْشَـــنُ الـــدُّنْيا إذا لَـــمْ يُرْضِـــهِ   قَلْـــبٌ أَغَـــرُّ و «عَبْطَـــةٌ» سَـــمْراءُ

مـــا آبَ مَنْصُـــورًا بِغَـــزْوٍ نـــاجِحٍ   إلّا ورَدَّدَ أَنْـــتُمُ الطُّلَقـــاءُ

وَطَنِيَّـــةٌ جَبّـــارَةٌ، قَهّـــارَةٌ   جَوّابَـــةٌ، غَلّابَـــةٌ، صَـــلْداءُ

نِعْـــمَ العُرُوبَـــةُ مـــا تَـــوانَى رَكْبُهـــا   فـــي مَهْجَـــرٍ نـــاءٍ، ولا إِسْراءُ

***

---

[1] إشارة إلى الشاعر الـمَهْجري يوسُف صارمي، صاحب مجلّة الـمواهب المهجريّة.

[2] إشارة إلى الأديب الـمَهْجري عبد اللطيف الخشن، صاحِب جريدة العلم العربـي.

و «فُــؤادُ»[1]، هَــذا الشَّــيْخُ لُطْـفٌ آسِرٌ ... ونَبالَـــــةٌ، وعُرُوبَـــــةٌ عَرْبـــــاءُ

عَــفُّ اللِّســانِ، ولَــيْسَ تُجْـدِي عِفَّــةٌ ... قَـــدْ نالَهَـــا التَّعْـــرِيضُ والإِيـــذاءُ

والشَّـيْخُ «صـالِحُ»[2] «شَـيْخُ عَقْـلٍ»، لَيْتَـهُ ... تَـــرَكَ الصِّـــحافَةَ، إِنَّهـــا لَـــبَلاءُ

إِنَّ الـــــمَشِيخَةَ نِعْمَـــــةٌ وكَرامَـــــةٌ ... أَمّـــا الصَّـــحافَةُ كُلُّهـــا أَسْـــوَاءُ

هَيْهـاتَ يَسْـبِقُ فـي تَنـافُسِ رَكِبِهـا الْــ ... أَغْـــــلاظُ، رُكَّـــــعٌ، ثُقَـــــلاءُ[3]

غَـــذَّى التُّقَـــى كُـــلَّ القُلُـــوبِ بِنُـــورِهِ ... هَـلْ فـي الصِّـحافَةِ لِلْقُلُـوبِ غِـذاءُ!؟

إِنَّ الصِّـــــحافَةَ شِرْعَـــــةٌ ورِســـــالَةٌ ... لَـــوْ يَعْـــرِفُ الأَقْـــزامُ والـــدُّخَلاءُ

قَـــدْ أَنْزَلُوهـــا عَـــنْ أَريكَـــةِ مَجْـــدِها ... لَـــمّا تَـــدَنَّتْ، ســـامَها السُّـــخَفاءُ

قَـــدْ شَـــوَّهُوها، شَـــوَّهُوا سِـــيماءَها ... لَـــمْ يَبْـــقَ فِيهـــا لِلْعُـــلَى سِـــيماءُ

يـــا دَوْلَـــةَ القَلَـــمِ النَّزيـــهِ تَحِيَّـــةً ... أَيْـــنَ الشُّـــراةُ[4] القُنَّـــعُ النُّزَهـــاءُ؟

حَسْـــناءُ أُمُّـــكِ قَـــدْ تَـــزَيَّنَ جِيـــدُها ... بالـــدُّرِّ، أَمّـــا هَـــذِهِ عَطْـــلاءُ[5]

***

---

[1] إشارة إلى فؤاد حدّاد، أكبر أعضاء «الندوة الأدبيّة» سنًّا.

[2] إشارة إلى الشيخ صالح كنج أبو صالح، صاحب جريدة الاستقلال.

[3] هكذا جاء الشطرُ في المصدر، وهو معتلّ الوزن.

[4] هل يقصد الشاعر السُّراة، وهم سادةُ القوم، أم قصد بها الشُّراة، وهم الشجعان من الناس؟.

[5] عَطِلَتِ المرأَة: خَلَتْ من الحُلِيّ.

ذِكْـرَى «الأَمِـيرِ»[1] الطّـاهِرِ اسْـتِقْلالُهُ   هَيْهـاتَ يَخْلُـدُ مِثْلُـهُ أُمَـراءُ

فـي ذِمَّـةِ العُـرْبِ الكِـرامِ صَـحِيفَةٌ   هِـيَ إِرْثُ مَجْـدٍ خالِـدٍ ولِـواءُ

وإذا الرِّفـاقُ تَـذَمَّرُوا وتَنَمَّـرُوا   حَمِـيَ الـوَطِيسُ كَأَنَّهـا الهَيْجـاءُ

ويَظَـلُّ «إِسْـبِرُ»[2] هادِئًـا مُتَزَمِّتًـا   لا تَسْـتَفِزُّ هُـدُوءَهُ بُرَحـاءُ[3]

مِـنْ قَلْبِـهِ الهـادِي تَحَجَّـرَ طَبْعُـهُ   إِنَّ الحِجـارَةَ كُلُّهـا صَـلْداءُ

وتُثِـيرُهُ عَـيْنُ «الجَـوادِ»[4] بِطَرْفَـةٍ   أو غَمْـزَةٍ عَجْـلَى، فَـلا يَسْـتاءُ

***

و «العِيـدُ»[5] لَـمْ يَشْـفَعْ بِـهِ قامُوسُـهُ   وعَواطِـفٌ رَيّانَـةٌ مَلْسـاءُ

ومَوائِـدٌ مَصْـفُوفَةٌ مَرْصُـوفَةٌ   كَـمْ يَشْـتَهِيها الآكِـلُ الشَّـهّاءُ!

رَحّالَـةٌ، جَوّابَـةٌ، جَوّالَـةٌ   هَيْهـاتَ مـا ضـاقَتْ بِـهِ بَيْـداءُ

فـي البَحْـرِ قَـدْ زَرَعَ الـثِّمارَ، وفـي الرُّبَـى   زَرَعَ النُّضـارَ، وأَنْـتُمُ جُلَسـاءُ

ويَعُـودُ، لكِـنْ لَيْتَـهُ لَـمّا يَعُـدْ   أَفَـأَنْتُمُ أَهْـلٌ لَـهُ خُلَقـاءُ؟

يـا صـاحِبي عُـدْ لِلسِّـياحَةِ إِنَّهـا   أَجْـدَى، ولَـوْ أَنَّ الأُلَـى جُعَـلاءُ

---

[1] إشارة إلى الأمير أمين أَرْسلان، مؤسِّس جريدة الاستقلال.

[2] إشارة إلى إسبر الحجّار، أحد أَعْيان الجالية العربيَّة في الأرجنتين آنذاك.

[3] البُرَحاء: شِدَّة ومشقّة، أو أذًى وشَرّ.

[4] إشارة إلى الشاعر الـمَهْجري جواد نادر، صاحب مجلّة الحياة الجديدة، ورئيس جريدة السّلام.

[5] إشارة إلى يوسف العيد، الرحّالة الـمعروف.

أَسَــمِعْتُمُ مــا قــالَ فِيــهِ «أَكْــرَمٌ»[1] لَــوْلاهُ لاعْتَــزَّتْ بِــهِ الشُّــهَداءُ

أَقَــرَأْتُمُ مــا قالَــهُ فــي «فــارِسٍ»[2]؟ هَيْهــاتَ يَــنْظُمُ مِثْلَــهُ فُقَهــاءُ

هَــذِي البَلاغَــةُ أَيْــنَ كــانَ مَقَرُّهــا؟ اَلْعَقْــلُ حِــرْزٌ، والفُــؤادُ خِبــاءُ

لا تَبْخَسُــوهُ حَقَّــهُ يــا إِخْوَتِــي هَيْهــاتَ أَنْــتُمْ مَعْشَــرٌ كُرَمــاءُ

اِحْنُــوا الــرُّؤُوسَ إِذا أَطَــلَّ مُسَــلِّمًا إِنَّ الــرُّؤُوسَ يُفِيــدُها الإِحْنــاءُ

طَــأْطِئْ لَــها تُخْطِئْــكَ، هَــذِي حِكْمَــةٌ عَرَبِيَّــةٌ قَــدْ قالَهــا حُكَمــاءُ

وإِذا أَبَيْــتُمْ، أَيّ دِرْعٍ تَحْتَمِــي فِيــهِ الصُّــدُورُ، كأَنَّــهُ «لَوْبــاءُ»

هَيْهــاتَ يُفْحِمُــهُ «الخَلِيــلُ»[3] بِحُجَّــةٍ إِنَّ العَــرُوضَ مُصِــيبَةٌ دَهْمــاءُ

***

«فَيْرُوزبادِي» و «الـمُحِيطُ» و «مُنْجِدٌ»[4] فــي جَيْبِــهِ وفُــؤادِهِ رُفَقــاءُ

أَمّــا أَنــا فَشَــفِيعُ شِــعْرِي عِنْــدَهُ جَهْلـي «العَرُوضَ»، وصُحْبَةٌ «سَأْساءُ»[5]

هُــوَ لا يُطَــأْطِئُ رَأْسَــهُ، فَكَأَنَّــهُ فَــوْقَ الفَيافــي والرُّبَــى «شَأْشــاءُ»[6]

---

[1] إشارة إلى الـمُناضِل الفلسطيني الـمَعْروف أَكْرم زعيتر.

[2] إشارة إلى السِّياسي الكبير فارِس الخوري.

[3] إشارة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، واضِعِ علم العَروض.

[4] إشارة إلى معاجم فـي اللغة العربيّة.

[5] سِأْساء: من الفعل سَأْسَأ، وسَأْسَأَه: زَجَره ليَمْضي أَو يَقِف. وربّما قصد بها القائلُ صداقةً أو صحبةً لا تتزَحْزح، أي راسِخة.

[6] شَأْشَاء: من الفعل شَأْشَأ، وهو هنا النخلُ السَّامِق.

هُـــــوَ دائِـــــمًا مُتَحَـــــرِّكٌ مُتَوَثِّـــــبٌ   هَيْهــــاتَ تُرْهِــــفُ عَزْمَــــهُ «الثَّوْبَــــاءُ»[1]!

مَـــنْ يَعْـــتَرِضْ فَهُنـــاكَ رَمْـــلٌ وافِـــرٌ   وهُنـــاكَ فِيـــهِ تَخْتَفِـــي «اللَّحْكـــاءُ»[2]!

وإِذا اسْـــبَطَرَّ[3] أَخٌ، وقَوْقَـــعَ آخَـــرٌ   فأَنـــا النَّسِـــيءُ الـــمُخْلِصُ النَّسّـــاءُ!

هَـــذِي القَوافِـــي مَـــنْ يَحُـــلُّ رُمُوزَهـــا   هَيْهـــاتَ يَفْقَـــهُ سِرَّهـــا تَأْتـــاءُ[4]!

رِفْقًـــا بِشِـــعْرِكَ يـــا زَمِيـــلُ فإِنَّـــهُ   غـــالٍ عَلَيْنـــا، والأُلَـــى شُـــهَداءُ

يَكْفِيـــكَ قَلْـــبٌ عـــامِرٌ بِمَحَبَّـــةٍ   تَكْفِيـــكَ نَفْـــسٌ سَـــمْحَةٌ سَـــخْيَاءُ

مـــا ضِـــقْتُ ذَرْعًـــا بالـــدُّعابِ وحُسْـــنِهِ[5]   أَيَضِـــيقُ ذَرْعًـــا بالـــدُّعابِ إِخـــاءُ؟

***

هَيْهـــاتَ يَكْفِيـــهِ «عَزِيـــزٌ»[6] حَقَّـــهُ   لا سِـــينُهُ تُفْشِـــي ولَـــيْسَ الـــرّاءُ

و «عَزِيـــزُ» لـــم يَبْخَـــلْ عَـــلَيَّ بِلَفْتَـــةٍ   كُـــلُّ الـــذينَ عَـــرَفْتُهُمْ رُحَمـــاءُ

فـــي شِـــعْرِهِ لُغْـــزٌ عَصِـــيٌّ، هَيْمَنَـــتْ   وتَخَبَّـــأَتْ رَمْزِيَّـــةٌ عَجْـــماءُ

---

[1] الثَّوْباء: التردّد والتكرار اللذان يَعْتريان الإنسان، من التَّثْويب.

[2] دابّةٌ صغيرة زَرْقاء تَجْري فـي الرَّمْل، ثمّ تَغُوصُ فيه. وكأنّ القائل أراد أن يقول: إنّ الـمعترضَ سيَغوص فـي مناقشة يخسر فيها.

[3] اسْبَطَرَّ: اضطَجَعَ أو تمدَّد.

[4] إشارة إلى التلعثُم فـي الكلام والعيّ.

[5] يشير ناظِمُ الأبيات إلى أنّ هذه الـمقطوعة (البالِغة ٢٤ بيتًا) تتضمّن تَنْكيتًا على شخص كان موضعَ تَندُّر فـي «الندوة الأدبيّة»، وأنّ بعضَ قوافيها من الدردشة الـمألوفة فـي عالـم التَّنْكيت.

[6] إشارةً إلى عزيز كبّاس.

رَمْزِيَّـــةٌ أَضْـــحَتْ تُشَـــوِّهُ شِـــعْرَنا! يـــا أَيُّهـــا الشُّـــعَراءُ لَا تَسْـــتاؤُوا
أَفْـــدِي «العَزِيـــزَ» بِمُقْلَـــةٍ رَيّانَـــةٍ بالـــدَّمْعِ، لا نُعْمَـــى ولا إِيحـــاءُ
قَـدْ غاضَـتِ النُّعْمَـى، وغـاضَ سُـلافُها لَـــمّا تَبَخَّـــرَ يـــا «عَزِيـــزُ» رَجـــاءُ

***

أمّـا «جَـوادُ»[1]، لِكُـلِّ عَـيْنٍ «طَرْفَـةٌ» يُعْطِيـــكَ مِنْهـــا مـــا تَشـــا ويَشـــاءُ
«النَّـادِرُ» الأَخْـلاقِ وَهْـيَ كَرِيمَـةٌ ورَفِيعَـــةٌ، ومَنـــارَةٌ ولِـــواءُ
أَ«جَـوادُ»، أَيْـنَ مُنـايَ؟ قَـدْ عَصَـفَتْ بِهـا دُنْيـــا، وذَرَّتْ طِيبَهـــا أَهْـــواءُ
«أَجَـوادُ»، هَـلْ يَقْضِـي الحَيـاةَ مُشَـرَّدًا قَلْبِـــي؟ فَـــلَا حُلْـــمٌ ولَا إِيـــواءُ
أَ«جَـوادُ»، قَـدْ عَبَـقَ النَّسِـيمُ بـآهَتِي وبِزَفْرَتـــي، وتَلَظَّـــتِ الرَّمْضـــاءُ
إِنِّـي كَفَـرْتُ بِكُـلِّ مَجْـدٍ زائِـفٍ لَـــمّا دَهَتْنِـــي نَكْبَـــةٌ دَهْيَـــاءُ
هَيْهـاتَ تُرْضِـينِي العُـلَى بِسَـرابِها اَلْقَلْـــبُ ظـــامٍ، والـــدُّنَى قَفْـــراءُ
يـا رَبِّ، أَيْـنَ «الكُـوخُ» فِيـهِ سَعادَتـي ورَغـــائِبِي، ومُنـــايَ، والسَّـــرَّاءُ
أَ«جَـوادُ»، دَعْنِـي، قَـدْ سَـئِمْتُ مَعِيشَـتِي سُـــحْقًا لِـــدُنْيا كُلُّهـــا أَوْبَـــاءُ[2]
أَ«جَـوادُ»، لَا كـانَ الوُجُـودُ وأَهْلُـهُ إِنْ لَـــمْ تَجُـــدْ بِلِحاظِهـــا كَحْـــلاءُ
يـا ظَبْيَـةً، لَا كـانَ يَوْمُـكِ هانِئًـا إِنْ لَـــمْ يَنَلْنِـــي مِـــنْ هَـــواكِ هَنـــاءُ

***

[1] إشارة إلى الشاعر الـمَهْجري جواد نادر، صاحب مجلّة الحياة الجديدة، ورئيس جريدة السّلام.

[2] أَوْباء: جمع وَبَأ، ووَبَأ: وَباء.

وهُنــاكَ خِــلٌّ مــا نَسِــيتُ حَديثَــهُ   حُلْــوُ الحَــدِيثِ، يَزِينُــهُ إِصْــغاءُ

«عَبْــدُ الحَمِيــدِ»[1] تَواضُــعٌ وتَرَفُّــعٌ   ومَكــارِمٌ يَزْهُــو بِهــا اسْــتِحْيَاءُ

وعَزِيمَــةٌ، هَيْهــاتَ يُضْــعِفُ شَــأْنَها   شَــعْرٌ تَخَضَّــبَ، إِنَّهــا قَعْســاءُ

والــرَّأْيُ، أَنْصِــتْ، لَا تُخــالِفْ رَأْيَــهُ   وإِذا فَعَلْــتَ، فَأَنْــتَ مِنْــهُ بَــراءُ

يُعْطِيــكَ مِــنْ قَلْــبٍ نَقِــيٍّ مُشْــرِقٍ   أَحْــلَى مَكارِمِــهِ: ثَنًــا ودُعــاءُ

تَنْــدَى الشِّــفاهُ بِكُــلِّ مَــدْحٍ وافِــرٍ   بــاللهِ هَــلْ يُرْضِــي الطُّمُــوحَ ثَنــاءُ؟

أَدَبٌ، وأَخْــلاقٌ، وعَقْــلٌ نابِــهٌ   وصَــداقَةٌ، ومَــوَدَّةٌ ومُضــاءُ

***

و «سَــلِيمُ»[2]، أَفْــدِي الــمُتْرَفاتِ يُرِيقُهــا   أَرَجًــا، لِتَــنْعَمَ بالشَّــذا حَسْــناءُ

قَــدْ «فَــرَّجَ» الرَّحْمــانُ عَنْــهُ كَرْبَــهُ   لَــمّا أَطَلَّــتْ أَرْزَةٌ خَضْــراءُ

***

أُمّــاهُ، هَــلْ مَــرَّ «السَّــلِيمُ» بِــدارِنا؟   هَــلْ أَمْرَعَــتْ مِــنْ خَطْــوِهِ الأَبْهــاءُ؟

هَــلْ عَطَّــرَتْ أَشْــعارُهُ جُــدْرانَها؟   يــا دارُ، لاعَصَــفَتْ بِــكَ الأَرْزاءُ

يــا دارُ، كَــمْ آوَيْــتِ شَخْصًــا بائِسًــا!   كَــمْ أَمَّــكِ الفُقَــراءُ والتُّعَســاءُ!

يــا دارُ، كَــمْ كَفْكَفْــتِ دَمْعًــا هــاطِلًا   تِلْــكَ الــدُّمُوعُ كَــأَنَّهُنَّ دِمــاءُ

يــا دارُ، كَــمْ أَنْقَــذْتِ مَظْلُومًــا!، وكَــمْ   أَسْــعَفْتِ مُحْتاجًــا! وكَــمْ فُقَــراءُ!

---

[1] إشارة إلى عَبْد الحميد عبد القادِر.

[2] إشارة إلى سليم مفرّج.

كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ جاءَ فـي وَسْطِ الـدُّجَى   فَأَجَرْتِــهِ! كَــمْ مِــنْ عُفــاةٍ جــاؤُوا

يــا دارُ، هَــلْ ضــاقَتْ بِشَــخْصٍ غُرْبَــةٌ   وأَتــاكِ، إِلّا والقُلُــوبُ فِنــاءُ؟

يـــا دارُ، هَـــلْ آثَـــرْتِ أَهْلَـــكِ مَـــرَّةً؟   هَـــلْ مَـــرَّ يَـــوْمٌ مـــا أَتَـــى غُرَبـــاءُ؟

هَـــذِي عُيُـــونُ اللهِ تَشْـــهَدُ كُلُّهـــا   أَنَّ الـــدَّرارِي أَعْـــيُنٌ رُقَبـــاءُ

يـــا دارُ، لَا أَقْفَـــرْتِ مِـــنْ نُعْمَـــى، ولَا   مَـــرَّتْ عَلَيْـــكِ مَصـــائِبٌ وبَـــلاءُ

يـــا رَبِّ، هَـــذا القَـــوْلُ شُـــكْرٌ كُلُّـــهُ   لِنَـــداكِ، لَا مَـــنٌّ ولَا خُـــيَلاءُ

***

أمّـــا «مَلَاتْيُـــوسُ»[1] الأَدِيـــبُ فإِنَّـــهُ   خِصْـــبُ اليَراعَـــةِ، خَـــيِّرٌ مِعْطـــاءُ

أَعْطَـى الكَثِـيرَ مِـنَ البُحُـوثِ، ولَـمْ يَـزَلْ   أَغْـــلَى الشَّـــمائِلِ، كُلُّهُـــنَّ عَطـــاءُ

مِـــنْ نَبْعَـــةِ الإِلْهـــامِ كـــانَ مِـــدادُهُ   والفِكْـــرُ جَـــوَّابٌ بِهـــا سَـــقّاءُ

هَـــلْ عـــادَ «رامِـــزُ»[2] لِلْحَظِـــيرَةِ؟ إِنَّهـــا   بُشْـــرَى تَـــزُفُّ عَبِيرَهـــا أَنْبـــاءُ

«الأَرْبِعـــاءُ»، وأَيُّ يَـــوْمٍ آخَـــرٍ   لا كـــانَ إِنْ لَـــمْ يَأْتِنـــا «شَـــقْراءُ»

«حِمْـــصُ العَدِيَّـــةُ» أَنْجَبَتْـــهُ وقَـــدْ زَهـــا   بِشَـــبابِهِ «الـــمِيماسُ» والصَّـــحْراءُ

***

ويَجِـــيءُ آخَـــرُ «قُنْصُـــلٍ» مُتَحَمِّسًـــا   لَـــمْ يَبْـــقَ إِلّا السَّـــادَةُ الـــوُزَراءُ

---

[1] إشارة إلى ملاتيُوس خوري.

[2] إشارة إلى رامز شَقْرا، وجيه الجالية العربيَّة في الأرجنتين.

أَهْلًا «بِيُوسُفَ»[١] كاتِبًا ومُحَدِّثًا   إِنَّ «القَناصِلَ» كُلّهُمْ نُبَهاءُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ الأَدِيبُ لَكُنْتَهُ   فَبَنُو «زُهَيْرٍ» كُلُّهُمْ شُعَراءُ

***

أَمّا الزُّجَاجُ وبَيْعُهُ وشِراؤُهُ   طابَ المَبِيعُ، وطابَ مَعْهُ شِراءُ

حَتَّى يَظَلَّ لَنا «نقُولَا»[٢] باسِمًا   وتَظَلَّ تَمْلأُ جَيْبَهُ «الزَّرْقَاءُ»

«قَدَرٌ» أَضاءَ يَراعَهُ مِنْ مَخْزَنٍ   وحَماهُ مِنْ سِحْرِ العُيُونِ «قَضَاءُ»

لَمْ يَحْمِنِي مِنْها القَضاءُ، ولَيْتَهُ   يا رَبُّ أَيْنَ عَوَاطِفِي النَّدْيَاءُ؟

يا رَبُّ لَمْ تَرْحَمْ شَبابِي والمُنَى   أَتَظَلُّ تَأْكُلُ قَلْبِيَ الرَّمْضاءُ!؟

يا رَبُّ لا كانَ الشَّبابُ ولَا المُنَى   والطِّيبُ إِنْ لَمْ تُمْرِعِ الأَهْواءُ

يَهْنِيكَ يا فَخْرَ الشَّبابِ وزَيْنُهُ   فَالصَّوْمُ خَيْرٌ، والفَطُورُ بَلاءُ[٣]

***

وَدَعُوا «رَفِيقًا»[٤]، إِنَّ دُولاراتِهِ   تُغْنِي، ولكِنْ لَيْسَ ثَمَّ غِنَاءُ

يُعْطِي، ولكِنْ أَيَّ سِعْرٍ يا تُرَى   اَلجَهْلُ أَجْدَى، والسُّؤالُ غَباءُ

وإذا غَلا «الدُّولارُ» تَنْمُو ثَرْوَةٌ   بِئْسَ الثَّراءُ يَزِيدُ فِيهِ غَلاءُ

---

[١] إشارة إلى يوسُف قُنْصل.

[٢] إشارة إلى نقولا كبّاس.

[٣] إشارة إلى صيام نقولا كبّاس أيّامًا طويلة على الماء فقط.

[٤] إشارة إلى رفيق حدّاد.

لا الأَغْنِيـــاءُ تَفَلَّتُـــوا مِـــنْ حُكْمِـــهِ وتَخَلَّصُـــوا، حَتَّـــى ولا الفُقَـــراءُ

الكُـــلُّ يَحْسَـــبُهُ صَـــديقًا مُخْلِصًـــا أَمّـــا الصَّـــدِيقُ فَجَيْبُـــهُ الوَطْفـــاءُ[1]

هَيْهـــاتَ يَحْظَـــى بالتَّســـامُحِ واحِـــدٌ لا شَـــيْخُ، لا خُـــورِيُّ، ولا هَيْفـــاءُ

قَـــدْ كـــانَ يَشْـــفَعَ بالفَتـــاةِ جَمالُـــها ودَلالُـــها والبَسْـــمَةُ الظَّمْيـــاءُ

أَمّـــا «رَفِيـــقُ» فَـــلا شَـــفِيعٌ عِنْـــدَهُ فَلْيَخْجَـــلِ الشُّـــفَعاءُ والوُسَـــطاءُ

ولَقَـــدْ خَجِلْـــتُ، وهـــا أَنـــا فـــي مَهْمَـــهٍ أَرْجُـــوهُ عُـــذْرًا، فـــالجَمِيعُ سَـــواءُ

هُـــوَ لا يُرِيـــدُ سِـــوَى العَدالَـــةِ وَحْـــدَها فَـــالأَرْضُ أَرْضٌ، والسَّـــماءُ سَـــماءُ

وأُحِـــبُّ ضِـــحْكَتَهُ البَرِيئَـــةَ، إِنَّهـــا دُنْيـــا تَضِـــيعُ بِرَحْبِهـــا البَرْحـــاءُ

إِنْ جَلْجَلَـــتْ تَـــتَرَنَّحِ الصَّـــمّاءُ أَوْ زَقْزَقَـــتْ تَتَبَخْـــتَرِ العَرْجـــاءُ

لَـــوْ هَسْهَسَـــتْ ضَـــحِكَ الرِّفـــاقُ جَمِـــيعُهُمْ حَتَّـــى يُصِـــيبَ رِفاقَنـــا إِغْـــماءُ

«نُكَـــتٌ» إذا أَرْضَـــيْتَهُ هِـــيَ بَلْسَـــمٌ وإِذا أُثِـــيرَ فَطَعْنَـــةٌ نَجْـــلاءُ

حَتَّـــى «أَبـــو خَضْـــرٍ» أَيَسْـــلَمُ واحِـــدٌ هَيْهـــاتَ، لا خَضْـــرٌ ولا خَضْـــراءُ

مـــا أَرْخَـــصَ «الـــدُّولارَ» حِـــينَ يَزِينُـــهُ لُطْـــفُ «الرَّفِيـــقِ»، وخُطْبَـــةٌ بَـــتْراءُ

صـــارَ «الرَّفِيـــقُ» بِنـــا خَطِيبًـــا مِصْـــقَعًا[2] كَـــيْ يَقْنَـــعُ الشّـــارُونَ والعُمَـــلاءُ

إِنّـــي لَأَرْغَـــبُ أَنْ أُداعِـــبَ صـــاحِبي هُـــوَ مِـــنْ فُـــؤادِي خَفْقَـــةٌ وغِشـــاءُ

---

[1] الوَطْفاء: المليئة بالمال.

[2] خَطِيبٌ مِصْقَع: بَلِيغ، ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيان.

هُـوَ بَعْـضُ مـا بِـي مِـنْ شُـعُورٍ ثـائِرٍ فـي غُرْبَـةٍ رُوّادُهـا شُـهَداءُ

***

«دُكْتُـورَةٌ»[1]، هَـلْ أَنْـتِ؟ قُلْـتُ لَهَـا: نَعَـمْ وَسَـلي «رَفِيقًـا» عِنْـدَهُ الأَسْـماءُ

و «أَمِـينُ»[2]، كَيْـفَ رِضـاهُ ثُـمَّ ثَنـاؤُهُ؟ هَيْهـاتَ مَـعْ بُخْـلٍ يَكُـونُ ثَنـاءُ

هُـوَ مُخْلِـصٌ، لكِـنَّ حُسّـادًا لَـهُ يَـرْوُونَ عَنْـهُ مـا يَعـافُ إِبـاءُ

مَـنْ لا «يُعَمِّـدُ» بالرِّيـالِ صَـداقَةً لا يَصْـطَفِيهِ، وَهْـوَ مِنْـهُ بَـراءُ

قَلْـبٌ مِـنَ الأَطْفـالِ كـانَ وَجِيبُـهُ يَكْفِيـهِ مِنْـكَ: تَبَسُّـمٌ وعَطـاءُ

هَيْهـاتَ يَسْـمَعُ غَـيْرَ ذِكْـرِ فُلُوسِـهِ وسَـلُوا «جَـوَادًا»، عِنْـدَهُ الأَنْبـاءُ

هُـوَ لا يُحِـبُّ سِـوَى الجَرِيـدَةِ وَحْـدَها مِـنْ أَجْلِهـا هـاتُوا أَيـا كُرَمـاءُ

أَوَ مَـنْ يَضِـنُّ بِمالِـهِ، فَحَياتُـهُ مَهْـما تَسـامَتْ كُلُّهـا أَسْـوَاءُ

هَـذِي رِوايـاتُ الخُصُـومِ وكُلُّهـا حِقْـدٌ وضَـغْنٌ ظـاهِرٌ وعِـداءُ

إِلَّا «جَـوادُ» لَـيْسَ فِيـهِ ضَـغِينَةٌ لكِـنَّ «طَرْفَـةَ عَيْنِـهِ»[3] زَوْراءُ

لا تَبْخَسُـوهُ حَقَّـهُ يَكْفِـيكُمُ دَعَـةٌ ولُطْـفٌ آسِرٌ ونَقـاءُ

إِنْ قـالَ: هـاتُوا، إِنَّـهُ مِـنْ أَجْلِكُـمْ لَـوْلَا الـدَّراهِمُ مـا اشْـمَخَرَّ بِنـاءُ!

---

[1] امرأة عربيّة مولودة في الأرجنتين، لا تفرِّق في الحديث بين المذكّر والمؤنّث، سألت الشاعرَ: هل أنتِ دكتورة، فقال لها: نعم.

[2] إشارة إلى أمين قسطنطين، صاحب جريدة السوريّة اللبنانيّة اليوميّة.

[3] إشارة إلى زاوية صحفيّة، كان يكتب فيها جواد نادر، عنوانها «طرفة عين».

لَــوْلَا «الرِّيــالُ» السَّــمْهَرِيُّ[1] الــمُشْتَهَى   هَــلْ تَضْــحَكُ الجُــدْرانُ والأَبْهــاءُ؟
هَــلْ كــانَ يَعْمُــرُ بالــدَّفاتِرِ مَكْتَبٌ   وَيَضِــيقُ عَــنْ تَكْديسِــهِنَّ فِنــاءُ؟
هَــلْ كــانَ يَطْمَــعُ أَنْ يَــراهُ واحِــدٌ   مِــنْكُمْ إِذا أَخْنَــى عَلَيْــهِ شَــقاءُ
هــاتُوا ولا تَــتَرَدَّدُوا، فَوِفاضُــهُ   خــالٍ، وأَمّــا قَلْبُــهُ فَمَــلاءُ
مِــنْ أَجْلِكُــمْ أَبْقَــى الجَريــدَةَ حَيَّــةً   هَيْهــاتَ يَظْفُــرُ بــالعُلى بُخَــلاءُ
هِــيَ مَجْـدُكُمْ، هِــيَ عِــزُّكُمْ وفَخــارُكُمْ   أَ«أَمِــينُ» رِفْقًــا بالــذينَ أَسَــاؤُوا
ثُــمَّ احْتَسِــبْها عِنْــدَ رَبِّــكَ حَسْــنَةً   فــاللهُ يَــرْزُقُ مــا يَــرَى ويَشــاءُ

***

وأُحِبُّــهُ وأُحِــبُّ فِيــهِ شَــمائِلًا   رَجُــلٌ تَقِــيٌّ، مــا بِــهِ إِيــذاءُ
فــي قَلْبِــهِ تَــرَفُ الرَّبِيــعِ وطِيبُــهُ   مَهْــما انْــبَرَى لِــهِجائِهِ خُبَثــاءُ

***

و «كَميلُ»[2] عافَ الحَرْبَ، وَهْيَ مُبِيدَةٌ   ورَعَــى السَّــلامَ، وفــي السَّــلامِ بَقــاءُ
لَــمّا تَعالَــتْ مِــنْ «زَكِــيٍّ» صَرْخَــةٌ   هَتَــفَ اللِّســانُ، وقَعْقَعَــتْ أَمْعــاءُ
نَــدِيَتْ أَكُــفُّ الــمُخْلِصِينَ ولَــمْ تَــزَلْ   تَنْــدَى، ونِعْــمَ السَّــادَةُ السُّــخَواءُ[3]
و «كَمِيــلُ» أَغْنَــى مِــنْ سِــواهُ بِرِقَّــةٍ   ونُعُومَــةٍ لَــمْ تَمْحُهــا شَــحْناءُ

---

١ السَّمْهَرِيّ: الرُّمْحُ الصُّلْب.

٢ إشارة إلى كَميل شَمْعون، صاحِب جريدة السَّلام.

٣ سُخَواء: جمع سَخِيّ، من السَّخاء والكَرَم.

أَخَــذَ «الجَــوادُ» نَصِــيبَهُ مِــنْ ضِــحْكِهِ　　فَـــإذا الأَوائِـــلُ كُلُّهُـــمْ أَصْـــداءُ

***

أَمّـا «الرَّفِيـقُ» و «يُوسُـفٌ»[1] فــي حَـيْرَةٍ　　ونَهـــارُ «يُوسُـــفَ» لَيْلَـــةٌ لَـــيْلاءُ

قَــدْ كــانَ شــارَكَ «حامِــدًا»[2] وأَحَبَّــهُ　　فَتَخَطَّفَتْـــــهُ غـــــادَةٌ كَحْـــــلاءُ

أَيْــنَ الــذي وَهَــبَ الصِّــحافَةَ عَزْمَــهُ　　فَتَطـــايَرَتْ مِـــنْ حَوْلِـــهِ الأَشْـــلاءُ

أَيْـــنَ الـــذي لا يَسْـــتَقِرُّ بِبَلْـــدَةٍ　　حَتّـــى يَطِـــيرَ وتَخْتَفِـــي الأَنْبـــاءُ

مَـنْ يَخْطِـف القَلْـبَ الـمُجَنَّحَ بـالتُّقَى؟　　يـــا شَـــيْخُ إِنَّ الخـــاطِفِينَ ظِبـــاءُ

مِــنْ أَجْلِهــا عــافَ الصِّــحافَةَ والتُّقَـى　　اَلْقَلْـــبُ رَيّـــانٌ وهُـــنَّ ظِـــماءُ!

تِلْــكَ الحِســانُ تَصَــيَّدَتْهُ عُنْــوَةً　　فَلْيَخْسَـــأِ الكُتّـــابُ والقُـــرّاءُ

مِائَـــةٌ مِـــنَ الفَتَيـــاتِ قَـــدْ أَحْبَبْنَـــهُ　　ثُـــمَّ اسْـــتَقَلَّتْ بـــالهَوَى شَـــقْراءُ

ونَصِــيبُ «يُوسُــفَ» ضِــحْكَةٌ أو عَبْطَــةٌ　　أو آهَـــــةٌ مَكْبُوتَـــــةٌ خَرْسَـــــاءُ

أو رَشْـــفَةٌ مِـــنْ ثَغْـــرِ كَـــأْسٍ مُـــتْرَعٍ　　أو سُـــــبْحَةٌ حَبّاتُهـــــا صَـــــفْراءُ

وشَريكُـــهُ بَـــيْنَ الأَزاهِـــرِ قَلْبُـــهُ　　والنّـــايُ والتَّغْريـــدُ والإِصْـــغاءُ

لَـــوْ أَنَّـــهُ أَعْطـــاهُ بَعْـــضَ كُنُـــوزِهِ　　مِـــنْ حُـــبِّهِنَّ كَفـــاهُ مِنْـــهُ شِراءُ

يَكْفِيـكَ «يُوسُـفُ» مِـنْ شَريـكٍ «حامِـدٍ»　　قُبَـــلٌ وثَغْـــرٌ باسِـــمٌ ودُعـــاءُ

ولَــكَ الإِلَــهُ، وأَنْــتَ أَغْنَــى بالرِّضــا　　والــمَكْرُماتِ، فَــلا دَهــاكَ بَــلاءُ

---

[1] إشارة إلى يوسُف كمال، صاحِب مجلّة الرَّفيق.

[2] إشارة إلى حامِد مرهِج.

واللهُ يَحْفَظُ «حامِدًا» ويَصُونُهُ   فَقُلُوبُهُنّ كَحُبِّهِنّ هَواءُ!

أَخَوانِ قَدْ لاقَيْتُ مِنْ نَفْسَيْهِما   دُنْيا تَمُوجُ بِعِطْرِها الأَضْواءُ

ونَهَلْتُ مِنْ وُدٍّ نَقِيٍّ مُتْرَفٍ   نُعْمَى الحَياةِ: مَوَدَّةٌ ووَفاءُ

***

في آخِرِ الدُّنْيَا زَرَعْتُ حُشاشَتِي   هَلْ أَمْرَعَتْ مِنْ طِيبِها الأَجْواءُ؟

وفِدًى لِقَلْبِي كُلُّ قَلْبٍ زائِفٍ   وأَنا لِصَحْبِي الأَوْفِياءِ فِداءُ

رِزْقٌ على اللهِ الكَرِيمِ تَرَكْتُهُ   قَدْ ضاقَ عَنْ نِعَمِ الإِلَهِ فَضاءُ

***

وسَلُوا الصَّدِيقَ «الصّارِمِيَّ» يُفِدْكُمُ   فَهُوَ العَلِيمُ، وأَنْتُمُ الخُبَراءُ

«مَنْصُورُ»[1]، والصَّنْدُوقُ يَشْكُو عَجْزَهُ   أَيْنَ «الرِّيالُ»؟ وفي «الرِّيالِ» شِفاءُ

مَشْفاهُ قَدْ واسَى العُفاةَ، ولَمْ يَزَلْ   هَلْ جاءَ مِنْ أَصْلِ العُفاةِ عَفاءُ؟

لا تُرْهِقُوهُ بالمَطالِبِ إِنَّهُ   يُعْطِي، ولكِنْ جَيْبُهُ خَرْقاءُ

***

«عَبْدُ الكَرِيمِ»[2]، وأَيْنَ مِنْهُ «خَمِيلَةٌ»   تَزْهُو بِها البَطْحاءُ والفَيْفاءُ

«عَبْدُ الكَرِيمِ»، وقد حَمَتْهُ «جَمِيلَةٌ»   حَتَّى تَوارَتْ أَعْيُنٌ نَجْلاءُ

---

[1] إشارة إلى عبد الله مَنْصور.

[2] إشارة إلى عَبْد الكَريم يونس وزوجته جميلة عمّار.

لَـوْلَا «التُّقَـى»، وأُعِيـذُهُنَّ مِـنَ «التُّقَـى» لَتَجَنْـدَلَتْ مِـنْ سِـحْرِهِ أَرْشـاءُ[1]
يـا شـارِبًا مِـنْ فَـوْقِ ثَغْـرٍ أَشْـنَبٍ[2] صَرْعـاكَ مـاتُوا أَمْ هُـمُ أَحْيَـاءُ؟

***

و «رَشِيدُ»[3] مِنْ «شُهْبٍ» تَسَلْسَلَ اِسْمُهُ وكَـذاكَ مِنْهـا اشْـتُقَّتِ الشَّـهْباءُ
يَمْشِـي وعِـزَّةُ «عَنْـتَرٍ» فـي وَجْهِـهِ إِنَّ العُرُوبَـةَ سَـمْحَةٌ مِعْطـاءُ
فِيـهِ البُطُولَـةُ والرُّجُولَـةُ والنُّهَـى وتَقُـودُهُ بِلِحاظِهـا عَـبْلاءُ

***

«مَعْلُوفُ»[4] هَلْ أَخْطَأْتُ في ذِكْرِ اسْمِهِ؟ هَـذِي الخَطِيئَـةُ مالَـها شُـفَعاءُ
مِـنْ أُسْرَةٍ عَرَبِيَّـةٍ مُضَـرِيَّةٍ مـا عَشَّشَـتْ بِجِوارِهـا لَأْواءُ[5]
هِـيَ تُحْفَـةُ الـدُّنْيا وكُـلُّ رِجالِهـا نـاسٌ كِـرامٌ، سـادَةٌ نُبَغـاءُ
و «مُحَمَّـدٌ»[6] هَـلْ راحَ؟ أَمْ هُـوَ قـابِعٌ؟ وهُنـا الـمَصِيفُ، وفـي دِمَشْـقَ شِـتاءُ
لَـهْفِي عـلى الطِّفْـلِ الـمُدَلَّلِ «سـامِرٌ» وصَـغِيرَتَيْنِ هُمـا السَّـنا الوَضّـاءُ
يَقْضُـونَ طُـولَ نَهـارِهِمْ فـي نَشْـوَةٍ لا اللُّعْـبُ يُضْـنِيهِمْ، ولا الإِعْيـاءُ

---

[1] أَرْشاء: جمع رَشَأ، والرَّشَأ: ولدُ الظَّبية إذا قويَ وتحرّك ومشى مع أُمِّه.

[2] أَشْنَب: أَبْيَضُ الأَسْنَانِ، حَسَنُها.

[3] إشارة إلى رَشِيد شهيب.

[4] إشارة إلى ملحم مَعْلوف.

[5] لَأْواء: شدَّةٌ وضِيق.

[6] إشارة إلى محمّد ياسين عبد الرحمن، أبو سامِر.

قُبَلًا على وَجَناتِهِمْ خَلَّفْتُها فِي القَلْبِ مِنْها رِعْشَةٌ وغِذاءُ
هَيْهاتَ أَنْسَى سَهْرَةً أَدِبيّةً قَدْ أَرَّجَتْها لَيْلَةٌ قَمْراءُ

***

بَيْتٌ حَلَلْتُ بِهِ، أَنِيقٌ مُتْرَفٌ الـمَكْرُماتُ مَعِينُهُ ووِعاءُ
مِنْ «آلِ شَمْسِينٍ»[1] تَحَدَّرَ رَبُّهُ نِعْمَ الخَمِيلَةُ، إِنَّها غَنّاءُ
بَيْتٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَيَّ ومِنَّةٌ هَيْهاتَ أَنْ يَفِيَ الجَمِيلَ ثَناءُ
بَيْتٌ لَهُ ذِكْرَى بِقَلْبي لَمْ تَزَلْ تَنْدَى، وبَعْضُ وَجِيبِهِ أَصْداءُ

***

أَغْلَى أَمانِيَّ العِذابِ تَرَكْتُها خَلْفِي، وسِرْتُ تُحِيطُ بِيَ الظَّلْماءُ
لَوْلَا الحَياءُ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ بَكَى لَيْتَ الحَياءَ يَغُضُّ مِنْهُ حَياءُ
خُذْها إِلَيْكَ وقَدْ تَأَرَّجَ رَوْضُها زَهْراءَ، لَمْ تَحْلُمْ بِها عَذْراءُ
عافَ القَرِيضَ لَكُمْ، ولَمْ يَأْبَهْ لَهُ فَأَثَرْتُمُوهُ، فَهَذِهِ عَصْماءُ
هِيَ أَوَّلُ الغَيْثِ الهَتُونِ، فَحاذِرُوا اَلنَّسْرُ بَعْضُ رِحابِهِ الجَوْزاءُ
إِنْ أَنْتُمُ عُدْتُمْ يَعُودُ[2] لِمِثْلِها وإذا سَكَتُّمْ أَنْتُمُ العُقَلاءُ

***

خُذْها إِلَيْكِ تَحِيَّةً عَرَبِيّةً فِيها نَقاءُ أُخُوَّةٍ وصَفاءُ

---

[1] إشارة إلى صاحب البيت يوسُف رشيد حمّاد، أحد وجهاء الجالية العربيَّة الخيِّرين في الأرجنتين آنذاك.

[2] الأصل أن يقول: يَعُدْ، ولكن أجازها الشاعرُ ضَرورةً.

مِـــنْ طَبْعِــكَ السَّــمْحِ الكَــرِيمِ مُــرُوؤَةٌ   وشَـــــــــهامَةٌ وتَســـــــــامُحٌ ووَلاءُ
فَـــاغْفِرْ تَجاوُزَهـــا الـــبَرِيءَ فإِنَّهـــا   هُرِعَـــتْ إِلَيْـــكَ تَقُودُهـــا خُـــيَلاءُ
وَاذْكُـــرْ أَخـــاكَ فإِنَّـــهُ فـــي مِحْنَـــةٍ   نَفْسِــــــــــــــيَّةٍ، سَرّاؤُهُ ضَرّاءُ
لا مَجْــــدُهُ مَجْــــدٌ، ولَا أَيّامُـــــهُ   بِـــيضٌ، وكُـــلُّ حَياتِـــهِ جَوْفـــاءُ
يَقْضِـــي لَيالِيـــهِ الطِّـــوَالَ مُسَـــهَّدًا   لا بَـــــدْرُ يُؤْنِسُـــــهُ ولا وَرْقـــــاءُ

***

ذَوَتْ الأَمانـــي يـــا «زَكِـــيُّ»، ولَـــمْ تَعُـــدْ   رَيّـــا! أَكُـــلُّ الأُمْنِيَـــاتِ هَبـــاءُ؟
مـــا قِيمَـــةُ الـــدُّنْيا إِذا هِـــيَ أَقْفَـــرَتْ   يـــا نَظْـــرَةً عَطْشَـــى رَعَتْـــكِ سَـــماءُ
تَبًّـــا لِـــــمَجْدٍ لا تُنِـــيرُ دُرُوبَـــــهُ   بَسَــــماتُ قَلْـــبٍ مُـــتْرَعٍ ورَجـــاءُ
آلَيْـــتُ لَا أَحْيَـــا إِذا أَنـــا لَـــمْ أَفُـــزْ   «بِـــنَعَمْ»، وتُمْحَـــى مِـــنْ رَجـــائي «الّـــلاءُ»
سَـــجِّلْ بِحَقِّـــكَ يـــا «زَكِـــيُّ» مُصِـــيبَتِي   فاليَـــأْسُ أَخْنَـــى، والحَيـــاةُ شَـــقاءُ
وإِذا قَضَـــيْتُ وسَـــوْفَ أَقْضِـــي عـــاجِلًا   فَسَـــيُنْعِشُ القَلْـــبَ الشَّـــهِيدَ رِثـــاءُ
لا تَـــبْخَلَنَّ بِـــهِ وأَنْـــتَ أَبُـــو الوَفـــا   هَيْهـــاتَ يَنْضُـــبُ مِـــنْ هَـــواكَ وَفـــاءُ
إِنِّـــي لَأَشْـــعُرُ أَنَّ «يَـــوْمِي» قَـــدْ دَنـــا   بَعْـــضُ الشُّـــعُورِ حَقِيقَـــةٌ بَلْهـــاءُ
هـــذا دَمِـــي، وتَعُـــبُّ عَطْشَـــى مِـــنْ دَمِـــي   وأَنـــا الشَّـــقِيُّ بِهـــا، عَدانِـــي الـــماءُ
أَنـــا مـــا أَسِـــفْتُ عـــلى نَعِـــيمٍ مَـــرَّ بـــي   لكِـــنْ أَسِـــفْتُ لِأَنَّهـــا حَرْبـــاءُ
دُنْيَـــا تُغَـــيِّرُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ لَوْنَهـــا   صُـــبْحٌ أَغَـــرُّ، ولَيْلَـــةٌ سَـــوْداءُ!

***

وزَرَعْــتُ فــي تِلْــكَ الخَمِيلَــةِ مُهْجَتــي   فَتَعَطَّـــرَتْ مِنْهـــا، ومَــرَّ هَــوَاءُ
وإذا نِثــارُ هَــوايَ فَــيْضٌ مِــنْ سَــنا   وإذا الأَرِيـــجُ سَـــحائِبٌ بَيْضـــاءُ
وإذا دُمُــــوعُ اللهِ تَغْمُــــرُ بُــــرْعُمًا   لَــــمّا تَلاشَــــى أَنَّـــتِ البَطْحـــاءُ
يــا ســائِرينَ عــلى الــتُّرابِ تَرَفَّقُــوا   تَحْـــتَ الـــتُّرابِ عَواطِـــفٌ خَرْســـاءُ
ومُنًـــى وأَحْـــلامٌ تَقَلَّـــصَ ظِلُّهـــا   لا القَلْـــبُ مَأْوَاهـــا، بَـــلِ الغَـــبْراءُ
هَــلْ تُزْهِــرُ الآمــالُ فــي قَلْــبِ الثَّــرَى   بَعْـــضُ الحَقـــائِقِ فَـــوْقَهُنَّ غِشَـــاءُ
لَيْـــتَ الـــبَرَاعِمَ تَسْـــتَحِيلُ لِأَلْسُـــنٍ   تَحْكِـــي كَـــأَنَّ عَبِـــيرَهُنَّ نِـــداءُ
لَــوْلَا التُّقَــى، يــا رَبِّ عَفْــوَكَ عَــنْ تُقًــى   لَتَعَطَّـــرَتْ بِحَـــديثِنا الأَجْـــواءُ
لَجَعَلْـــتُ بَعْـــضَ عَبِيرِهـــا ورِضـــابِها   تَسْـــتافُ مِنْـــهُ الجَنَّـــةُ الزَّهْـــراءُ
لَرَفَعْـــتُ فَـــوْقَ الخَـــافِقَيْنِ مَنارَتـــي   وأَطَـــلَّ مِـــنْ قَلْـــبِ السَّـــماءِ لِـــواءُ
لكِنَّنِـــي وأَنـــا الـــمُعَنَّى طَوَّحَـــتْ   بِحَياتِـــــيَ الأَحْـــــزانُ والبَأْســـــاءُ

***

آمَنْـــتُ بـــالحُزْنِ الشَّـــهِيِّ، أَعُـــبُّ مِـــنْ   نَعْمائِـــــهِ مـــــا تَشْـــتَهِي الـــنَّعْماءُ
يـــا رَبِّ طَهِّـــرْ بالـــدُّمُوعِ حُشاشَـــتِي   أَنْقَـــى صَـــلاةٍ غُصَّـــةٌ وبُكـــاءُ
يـــا رَبِّ هَـــذِي مُهْجَتـــي ويَراعَتِـــي   وَقْـــفٌ عـــلى مَـــنْ تَشْـــتَهي وتَشـــاءُ
يـــا رَبِّ أَيْـــنَ غَـــدِي؟ وأَيْـــنَ صَـــبابَتِي؟   هَيْهـــاتَ لا نُعْمَـــى ولا إِيحـــاءُ

***

أَشْــــهَى مُنَــــايَ بـــأَنْ أَعِـــيشَ بِقُـــرْبِكُمْ   يـــا أُخْـــوَةٌ، يـــا صَـــحْبُ، يـــا زُمَـــلاءُ
أنـــا لَا أُرِيـــدُ سِـــوَى إِشَـــارَةَ إِصْـــبَعٍ   فالقَلْـــبُ يُسْـــرِعُ، والخُطَـــى أَصْـــداءُ
هَـــلْ نَلْتَقِـــي؟ ومَتَـــى؟ وأَيْـــنَ لِقاؤُنـــا؟   بَـــــيْنَ الـــــبَراعِمِ مَوْعِـــــدٌ ولِقَـــــاءُ



قافية الدال

اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ[1]

(من الكامل)

«اِبْـــدَأْ بِنَفْسِـــكَ والْـــبِسِ اللُّبَّـــادا» وَدَعِ الحَريـــــرَ وزَيَّـــــهُ الـــــمُعْتادا

وَاسْـــكُنْ دَهــاليزَ البُيُــوتِ تَقَشُّـــفًا «وَارْكَـــبْ حِمـــارًا فارِهًـــا مُنْقَـــادا»

«وإِذا دُعِيــــتَ لِحَفْلَـــةٍ مَرْمُوقَـــةٍ» حَشَـــدُوا بِهـــا الظَّبْيَـــاتِ والآسَـــادا

ودَعَـــوْا لَهَـــا مِـــنْ كُـــلِّ رَوْضٍ زَهْـــرَةً «فارْكَـــبْ لَهَـــا بَـــدَلَ الحِـــمارِ جَـــوَادا»

[1] هذه الأبياتُ جاءت بمنزلة تشطير، فما بين قوسين هما لأحد الوزراء فـي الحكومة السوريّة سنة ١٩٥٥، والآخران للأديب عبد اللطيف اليونس. وتعود القصّة إلى أنّ الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، أحد أعضاء مجلس النوّاب آنذاك، خطبَ وطلب فرضَ التقشّف فـي البلد، فأرسل له ذلك الوزير بيتين من الشعر، فشطّرهما اليونس، ثمّ خمّسهما (انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٥٢١).

اِلْبِسِ اللُّبَّادا[1]

(من الكامل)

«اِبْـــدَأْ بِنَفْسِـــكَ والْـــبِسِ اللُّبَّـــادا» وافْـــرِشْ حَصِـــيرَكَ، واتَّخِـــذْهُ وِســـادا

وَاغْـــزِلْ رِداكَ، وشَـــارِكِ الزُّهّـــادا كِسَـــرًا مِـــنَ الخُبْـــزِ الـــمُقَدَّدِ زادا

«وَارْكَـــبْ حِمـــارًا فارِهًـــا مُنْقَـــادا»

***

«وإذا دُعِيـــتَ لِحَفْلَـــةٍ مَرْمُوقَـــةٍ» ورَجَـــوْتَ أَنْ تَحْظَـــى بِهـــا بِصَـــديقَةِ

حَسْـــناءَ مِـــنْ كُـــلِّ القُيُـــودِ طَليقَـــةِ تَسْـــعَى إِلَيْـــكَ بِقامَـــةٍ مَـــمْشُوقَةِ

«فارْكَـــبْ لَهـــا بَـــدَلَ الحِـــمارِ جَـــوَادا»

---

[1] هذه الأبياتُ جاءت بمنزلة تَخْميس، فما بين قوسين هي لأحد الوزراء في الحكومة السوريّة سنةَ ١٩٥٥، والآخران للأديب عبد اللطيف اليونس. وتعود القصّة إلى أنّ الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، أحد أعضاء مجلس النوّاب آنذاك، خطبَ وطلب فرضَ التقشّف في البلد، فأرسل له ذلك الوزير بيتين من الشعر، فشطّرهما اليونس، ثمّ خمّسهما (انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٥٢١، ٥٢٢).



قافية الراء

تَغْريدُ الذِّكْرَيات[1]

(من الخفيف)

أَيُّهـــــا البَيْـــــتُ لا عَـــــدَمْتُكَ بَيْتًـــــا   كُنْـتَ مَلْجَـأَ الضَّـعِيفِ فـــي الحَـرِّ والقَـرّ

كُنْـتَ مَـأْوَى العُفـاةِ فــي اللَّيْلــةِ النَّكْــ   ـــــــراءِ تُـــــــؤْويهِمُ، ولا تَتَنكَّـــــــرْ

كُنْـتَ نُـورًا فــي غَيْهَـبِ الجَهْـلِ والظُّلْـ   ـــمِ، ومـــا زِلْـــتَ مِشْـــعَلًا لِلتَّحَـــرُّرْ

كَـــمْ ضَـــعِيفٍ أَتـــاكَ فـــي لجَّـــةِ اليَـأْ   سِ! فَأَسْـــــعَفْتَهُ ولَـــــمْ تَتكَـــــبَّرْ

كَـــمْ حَـــزينٍ كَفْكَفْـــتَ أَدْمُعَـــهُ الحَـــرَّى   بِلَيْـــلٍ خـــالٍ مِـــنَ النُّـــورِ أَعْسَـــرْ

لَـــيْسَ زَهْـــوًا هـــذا، وهَيْهـــاتَ أَنْ أَزْ   هُـــو، لكِنَّنـــي أَقُـــولُ لِأَشْـــكُرْ

***

غَــــرَّدَتْ فــــي رِحابِـــهِ ذِكْرَياتـــي   يـــا لِـــذِكْرَى كَأَنَّهـــا الطِّيـــبُ يُنْشَـــرْ

أَتُراهـــا نامَـــتْ، ففـــي رَفَّـــةِ الجَفْـــ   ـــــنِ بَقايـــــا ظِلالِهـــــا تَتَعَثَّـــــرْ

أَيْـــنَ مَـــنْ يَسْتَشِـــفُّ مِـــنْ ذِكْرَياتـــي   صُـــوَرَ الأَمْـــسِ مُشْـــرِقاتٍ وأَكْثَـــرْ

أَيْـــنَ نـــايِي؟ وأَيْـــنَ مَعَـــهُ شَبابـــي؟   نَغَـــمٌ طـــافَ فـــي الـــدُّنَى وتَبَعْثَـــرْ

خـــافِقٌ جَـــنَّحَ الـــرُّؤَى لِـــمُناهُ   فـــإِذا الأَرْضُ مِـــنْ أَمانِيـــهِ أَصْـــغَرْ

---

[1] هذا جزءٌ من قصيدة عدد أبياتها مائة وثمانون بيتًا نظمها عبد اللطيف اليونس، خلال غربته، عن ذكرياته في رحاب بيته (انظر: قبسات من الأدب المهجري، الدكتور عبد اللطيف اليُونس – أديبًا وسياسيًّا وصحفيًّا، نعمان حرب، ١٩٨٨ م، ص٨٦). وقد تواصلتُ مع حفيد الشاعر الدكتور نزار يُونس للحصول على بقيّة القصيدة، فبحثَ ولم يجدها.



قافية السين

يا عَمّ[1]

(من الكامِل)

وتَقُـــولُ لِي: يـــا عَـــمُّ مالَـــكَ صـــامِتًا   فَتَزيدُنـــي صَـــمْتًا، ويَغْمُرُنـــي الأَسَـــى

وتَقُـــولُ لِي: ... فيَـــذُوبُ قَلْبـــي حَسْـــرَةً   يـــا لَيْتَهـــا تَنْسَـــى الـــذي قَـــدْ يُنْتَسَـــى

شَـــعْراتُ بِـــيضٌ قَـــدْ تَجِـــنُّ بِمِفْرَقـــي   صَـــيَّرْنَنِي عِنْـــدَ الغَوانـــي مُفْلِســـا

والظَّهْـــرُ رَغْـــمَ سُـــمُوقِهِ وشُـــمُوخِهِ   يُلْقَـــى مَـــعَ الشَّـــيْبِ اللّعـــينِ مُقَوَّســـا

والقَلْـــبُ رَغْـــمَ فُتُـــوَّةٍ يَزْهُـــو بِهـــا   لا تَـــأْبَهَنَّ لَـــهُ، ولا تَرْنُـــو، النِّســـا

فالشَّـــيْبُ لا تَـــرْضَى فَتَـــاةٌ قُرْبَـــهُ   حتَّـــى ولَـــوْ كانَـــتْ فَتـــاةً عانِســـا

شَـــيْبٌ أَلا تَبًّـــا لَـــهُ مِـــنْ مُجْـــرِمٍ   أَكَـــلَ الرُّجُولَـــةَ والكِياسَـــةَ واحْتَسَـــى

***

حَسْـــناءُ .. لا تَقْسِـــي عَـــلَيَّ إذا عَثـــا   شَـــيْبٌ بِرَأْسِـــي، أو إذا دَهْـــري قَسَـــا

حَسْـــناءُ .. إِنْ باتَـــتْ بِـــرَأْسِي صَـــلْعَةٌ   إِنَّ الغَضَـــنْفَرَ قَـــدْ تَعَـــرَّى ومـــا اكْتَســـى

حَسْـــناءُ .. لَيْسَـــتْ فِي الـــمَظاهِرِ عِـــبْرَةٌ   فَدَعي الشُّـكُوكَ، ومـا تَسُـوقُ، ومـا عَسَـى

***

[1] جريدة الوَطن، بوينس آيرِس، الأربعاء ٢١ أيّار/ مايُو، ١٩٨٠ م. نظم الشاعرُ هذه القصيدةَ في أعقاب موقفٍ جاء فيه على لسانه: "قال لي: إنّها لا تناديني إلا يا عمّي، وأنا أكره هذا النداء، وهذه التسمية، لأنّهما يذكّرانـي بقول عمر بن أبي ربيعة: وإذا دَعَوْنَكَ مِنَّهُنَّ فإنّها ... دَعْوَى تَزيدُكَ عِنْدَهُنَّ بِعادا؛ وطلب منّي أن أنظمَ له قصيدة بهذا الـمَعْنى".



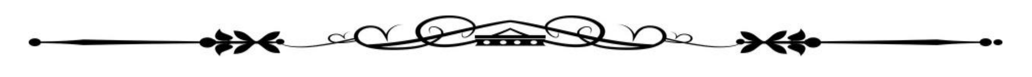
يــا عَـــمُّ: هَـــلْ يُرْجــى نِــداءٌ غَـــيْرُهُ   بِـــئْسَ النِّــداءُ مُعَرِّضًــا ومُوَسْوِســا

يــا عَـــمُّ: لَـــوْلا نَفْحَـــةٌ مِـــنْ رَيِّـــقٍ   عَطِـــرٍ لَفَضَّـــلتُ اللِّســـانَ الأَخْرَســـا

يـــا عَـــمُّ: لا بَقِيَـــتْ بِعَمِّـــكِ قُـــوَّةٌ   تُغْـــرِي، لِتَرْتــاحَ النِّســاءُ وتَيْأَســـا

يــا عَـــمُّ: مــا هـــذا النِّـــداءُ عَزيزَتـــي   هاتِـــي نِـــداءً يـــا حَياتـــي كَيِّســـا

لَـــوْلا التُّقـــى، لَلَعَنْـــتُ عَمَّـــكِ جُمْلَـــةً   وحَسِـــبْتُهُ نَـــذْرًا عَـــلَيَّ مُقَدَّســـا



غُرْبَةٌ مُرَّة[1]

(من الخفيف)

لَـمْ أَخُـنْ صَـحْبي، ولا خُنْـتُ نَفْســي   إنّــما قَسْــوَةُ الظُّــرُوفِ وتَعْســي

مِـثْلَما أَنْـتَ لَـمْ تَجِـدْ بَعْـضَ وَقْـتٍ   فأَنــا لَــمْ أَجِــدْهُ رَغْــمَ التَّــأَسّي

يــا لِنَفْســي وكَــمْ تُجـرَّعُ نَفْســي   مِــنْ هُمــومٍ، ومِــنْ رَزايــا وبُؤْســي!

نُــوَبُ الــدَّهْرِ لَــمْ تَــدَعْ لي أَلِيفًــا   واشَـقائي! قَـدْ حَطَّـمَ الـدَّهْرُ كَأْسـي

نُــوَبُ الــدَّهْرِ لَــمْ تَــدَعْ لي يَقِينًــا   بوُجُــــودٍ ونُعْمَــــى وأُنْــــسِ

صِرْتُ أَرْجُــو .. ولا أُلَبَّــى كأَنّــي   كُنْــتُ أُلْقِيــهِ في مَســامِعِ خُــرْسِ

يــا لِنَفْســي وأَيُّ سَــلْوَى لَــدَيْها   والأَمانــــي مُغَلَّفــاتٌ بِيَــأْسِ

---

[1] جريدة الوَطن، بوينس آيرِس، الأربعاء ١ آب/ أغسطس، ١٩٨٤ م. نظم اليونس هذه القصيدةَ ردًّا على معاتبة صديقه الأديب والشاعر علي محمّد عيسى، فقد عاتب الأخيرُ عبد اللطيف اليونس الذي زار توكومان ولـم يمرّ به. وقد جاءت هذه الأبيات (التي وضعت لها عنوانًا من سياقِها) فـي الـمصدر تحت عنوان «حوار بين شاعرين»، وفيها كانت أبيات علي محمّد عيسى كما يأتـي:

أَبَيْــتَ زِيارَتــي وزَهِــدْتَ فِيهــا   وهــذا الزُّهْــدُ زَهَّدَنــي بِنَفْســي

فــما يُرْضِــيكَ يُرْضِــيني، ومــا لَــمْ   بــهِ تَرْضَــى، فَحاسِــبْهُ بِفِلْــسِ

أَفــي شَرْعِ الــمَحَبَّةِ اِنْتِظــاري   بزاوِيَــةِ الطّريــقِ أَقَمْــتُ يَــأْسي؟

لِقــاؤُكَ بُغْيَتــي واعْتِــزازي   وآمالــي وأَحْلامــي وأُنْســي

ولَــمْ يَشْــغَلْكَ عَنّــي غَــيْرُ حَظّــي   ومــا أَمْــلاهُ مِــنْ جَــوْرٍ وتَعْــسِ

فَصُــدَّ وجُــرْ وباعِــدْ وانْــأَ عَنّــي   فَحُبُّــكَ سَــوْفَ يَلْزَمُنــي بِرَمْســي

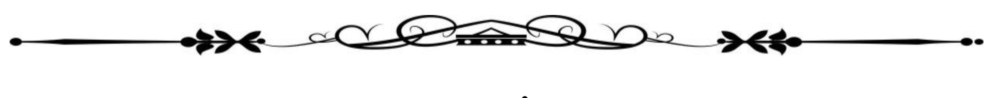
أَيُّ قَلْــــبٍ قَــــدْ مَزَّقَتْــــهُ الشَّــــظايا   مِثْــلُ قَلْبــي، وأيُّ نَفْــسٍ كَنَفْســـي!؟
مُقْلَــةُ الضَّــوْءِ لَــمْ تَــدَعْ لــيَ ضَــوْءًا   وامُصابــــي! أَكـــادُ أَفْقِـــدُ حِسّـــي
أَيْـــنَ مِنِّـــي هَنـــاءَةُ الفِكْـــرِ والقَلْـــ   ـــبِ؟ وأَيْـنَ الهَـوَى وسـاعاتُ أُنْســي؟
لَسْـــتُ أَنْسَـــى، وإِنْ تَنْـــأَى صَـــديقِي،   سُــوءَ حَظِّــي، وقَسْــوَةُ الــدَّهْرِ تُنْســي

***

كَيْـــفَ أَحْيَـــا وقَـــدْ فَقَـــدْتُ رَجـــائي   والهُمُـــــومُ السَّـــــوْداءُ تَمْـــــلأُ رَأْسي
غُرْبَـــةٌ مُـــرَّةٌ، وشَـــوْقٌ دَفِـــينٌ   ضـــاعَ يَـــوْمي وقَبْـــلَ ذلِـــكَ أَمْســـي
وحَنِينـــي، وأَيْـــنَ مِنْـــهُ الصَّـــوَاري   ســـابِحاتٍ، والحُلْـــمُ يَطْفُـــو ويُـــرْسي
ونَعِـــيمٌ مَـــرَرْتُ فِيـــهِ، ولكِـــنْ   لَـــمْ أُهَـــبْ مِنْـــهُ غَـــيْرَ تَعْـــسٍ ونُكْـــسِ
أَسْـــلَمَتْني الحَيـــاةُ لِلْهَـــمِّ والغَمْـــ   ـــمِ، وسُـــودِ الـــمُنَى وأَيّـــامِ بُـــؤْسِ
نَجْمَتـــي لَـــمْ تَعُـــدْ تَـــرِفُّ، ولا الضَّـــوْ   ءُ أَلِيفًـــا، فـــأَيُّ نَحْـــسٍ كَنَحْســـي
وبَقايَـــا مِـــنَ الشُّـــعاعِ أَلِيـــفٌ   هُـــوَ يُضْـــحِي مَـــعْ خـــافِقي، ثُـــمَّ يُمْســـي
قَـــدْ سَـــئِمْتُ الحَيـــاةَ والكَـــوْنَ والنّـــا   سَ، ووالله صِرْتُ أَسْـــأَمُ نَفْســـي

***

يـــا صَـــديقي ومِثْـــلُ حُبِّـــكَ حُبِّـــي   سَـــوْفَ يَمْضـــي مَعـــي رَفِيقًـــا لِرَمْســـي



يَأْس[1]

(من الخفيف)

سَئِمَتْ مِنْ مَرارَةِ العَيْشِ نَفْسي   واسْتَحالَ الرَّجاءُ فِيها لِيَأْسِ

طَفَحَتْ كَأْسُها هُمُومًا فَوَدَّتْ   لَوْ تَوارَى عَنِ الوُجُودِ بِرَمْسِ

أَمَلٌ ضائِعٌ، وحَظٌّ شَقِيٌّ   إِنْ تَمَنَّى شَيْئًا أَتاهُ بِعَكْسِ

لا تَرَى غَيْرَ شِدَّةٍ وشِقاءٍ   حِينَ تُضْحِي، في كلِّ يَوْمٍ، وتُمْسِي

يَحْسَبُ القَلْبُ، وَهْوَ حُرٌّ طَلِيقٌ،   أَنَّه في حَياتِهِ نِضْوُ حَبْسِ

وغَرِيبٌ في أَهْلِهِ وبَعِيدٌ   عَنْ أُناسٍ يَعِيشُ مَعْهُمْ بِأُنْسِ

فَهْوَ حَيْرانُ ذاهِلٌ حَيْثُ يَمْضي   لَمْ يَرُقْهُ مُسْتَوْطَنٌ تَحْتَ شَمْسِ

[1] صرخَة يَأْس وخيبة أمَل ووحشة قاتلة يطلقها اليونس من الأعماق في هذه المقطوعة الشعرية (انظر: قبسات من الأدب المهجري، الدكتور عبد اللطيف اليُونس – أديبًا وسياسيًّا وصحفيًّا، نعمان حرب، ١٩٨٨ م، ص٨٨).



قافية القاف

شَكْوَى وعِتاب[1]

(من الرَّمَل)

يــا «رَشِــيدٌ» كُلُّنــا يَشْــكُو «شَــفِيقْ»   بَعْــدَ أَنْ كــانَ لَنــا خَــيْرَ رَفِيــقْ
أَطَوَتْــهُ عِلَّــةٌ عِــنْ صَــحْبِه؟   أَمْ تُــرَى ضــاقَ بِهِــمِ؟ لا كــانَ ضِــيقْ

---

[1] كان الشاعرُ القروي قد بعثَ قصيدةَ عتابٍ للشاعر شفيق مَعْلوف يَشْكو فيه جفاءَ شاعِرِ عَبْقر لأَصْدقائِه، ونشر اليُونس فـي جريدته «الأنباء» قصيدةَ القروي، وفـي العدد نفسه نشرَ ردّه عليها ومحاكاته إيّاها، وهذه هي قصيدة القروي (انظر: قبسات من الأدب الـمهجري، الدكتور عبد اللطيف اليُونس – أديبًا وسياسيًّا وصحفيًّا، نعمان حرب، ١٩٨٨ م، ص٨١):

يــا أَخِــي يــا «شَــفِيقْ»   أَنَسِــيتَ الصَّــديقْ؟
أَمْ هَجَــرْتَ الحِمَــى؟   أَمْ ضَــلَلْتَ الطَّريــقْ؟
أَنــا مــا حِــدْتُ عَــنْ   عَهْــدِ حُبِّــي الوَثِيــقْ
ظَمَئِــي تَحَــرَّقَ   لِلْحَــديثِ الرَّقِيــقْ
طَفَــحَ الكَــأْسُ لِــي   أَدَبًــا لا رَحِيــقْ
لا أُطِيــقُ الجَفَــا   يــا أَخِــي، لا أُطِيــقْ
غَشِــيَتْنِي أَزْمَــةٌ   رُبَّــما لا أَفِيــقْ
أَمَلِــي فُسْــحَةٌ   كُــلَّ يَــوْمٍ تَضِــيقْ
كُلُّنــا راحِــلٌ   كَــمْ مَضَــى مِــنْ رَفِيــقْ
عِشْــتَ بالاسْــمِ لِــي   والــمُسَمَّى «شَــفِيقْ»

وأُشير هنا إلى أنّ الشطر: «ظَمَئِي تَحَرَّقَ» مختلُّ الوزن والوقوف، والصحيحُ أن يُقال: «ظَمَئِي حَرِقٌ». ولعلّ فـي الأمرِ خطأً طباعيًّا.

أَمْ هِـــيَ العُزْلَـــةُ عَـــنْ مُجْتَمَـــعٍ   شَرُّ مـــا فِيــهِ عُقُــوقٌ ومُـــرُوقْ؟
أَمْ هَـــيَ الـــدُّنْيا غِنًـــى لا يَنْتَهِـــي؟   كَـمْ تَـرَى أَلْهَـتْ شَـقِيقًا عَـنْ شَـقِيقْ!
أَمْ هُـــوَ الشِّـــعْرُ بِـــوادي «عَبْقَـــرٍ»   صَرَفَ الشَّـــاعِرَ عَـــنْ كُـــلِّ صَـــدِيقْ؟

***

قَـــدْ سَـــأَلْنا الـــنَّجْمَ عَنْـــهُ، وإذا   فـــي جَبِـــينِ الـــنَّجْمِ سِـــيماءُ مَشُـــوقْ
وسَـــأَلْنا الصُّـــبْحَ عَـــنْ صـــاحِبِهِ   وإذا الحَـــيْرَةُ فـــي جَفْـــنِ الـــمَشُوقْ
وسَـــأَلْنا الـــرَّوْضَ عَـــنْ شـــاعِرِهِ   فَانْتَشَـــى العِطْـــرَ، وأَوْمَـــى لِلْعَقِيـــقْ
وسَـــأَلْنا الشَّـــمْسَ: مَـــنْ ســـابَقَها[1]   أَيْـــنَ أَمْسَـــى؟ وإذا صَـــمْتٌ عَمِيـــقْ
وإذا الكُـــــلُّ حَيـــــارَى مِثْلنـــــا   يـــا «رَشِـــيدٌ» أَيُّنـــا ضَـــلَّ الطَّرِيـــقْ؟
مـــا دَهـــاهُ؟ مـــا عَـــراهُ؟ أَتُـــرَى   لَـــمْ يَعُـــدْ مَهْـــرُ الفَتَـــى الحُـــرِّ طَلِيـــقْ؟
كـــانَ فـــي الـــمَلْعَبِ أَوْحَـــى[2] ســـابِقٍ   وتَخَطَّـى الكُـلَّ فـــي الـــمَجْرَى السَّـحِيقْ
أَثَـــرٌ فـــي كُـــلِّ مَيْـــدانٍ لَـــهُ   وعـــلى كُـــلِّ الرُّبَـــى مِسْـــكٌ فَتِيـــقْ[3]

***

ولَـــئِنْ يَجْفُـــو «شَـــفِيقٌ» صَـــحْبَهُ   فَلَهُـــمْ سَـــلْوَى بِـــما فِيـــهِ العَرِيـــقْ
كَـــمْ سَـــقَى مِـــنْ قَلْبِـــهِ السَّـــمْحِ فَتًـــى!   كَـــمْ عـــلى الشُّـــطْآنِ أَحْيـــا مِـــنْ غَرِيـــقْ

---

[1] إشارة إلى قصيدة شفيق مَعْلوف: «سِباق مع الشَّمْس».

[2] أَوْحَى: أَسْرَع.

[3] مِسْكٌ فَتِيق: فَوّاح، مُشرِق.

ولَــــئِنْ ضــــاقَتْ نُفُــــوسٌ بالنَّـــدَى   وَانْطَــوَتْ، نَفْــسُ «شَــفِيقٍ» لا تَضِــيقْ

***

يـــا «رَشِــــيدٌ» لا تُعاقِــــبْ صــــاحِبًا   قَــدْ يَـرَى فــي العَتْــبِ شَـيْئًا لا يَلِيــقُ
إنّــــما الحُــــرُّ إذا مَــــسَّ الكَــــرَى   قَلْبَــــهُ حِينًــــا، فَـــلا بُــــدَّ يَفِيــــقُ
وكَـــــريمُ الأَصْـــــلِ لا تَنْبُـــــو بِـــــهِ   عادِيــاتُ الــدَّهْرِ مِــنْ عَهْــدٍ وَثِيــقُ
أَنْــتَ فــي القِمَّــةِ مِــنْ أَهْــلِ الوَفــا   ومِـــنَ الأُمَّـــةِ فـــي أَسْــمَى فَريـــقْ
لَـــكَ مـــاضٍ عَرَبـــيٌّ مُشْـــرِقٌ   إنَّـــهُ فـــي مُقْلَــةِ الــنَّجْمِ بَريـــقْ
لَـــكَ دُنْيـــا مِـــنْ مُـــرُوءاتٍ، ومَـــنْ   مِنْـــكَ أَحْـــرَى بالـمَعالـــي أو خَلِيـــقْ
كُـــلُّ سِـــفْرٍ مِـــنْ تَـــواريخٍ مَضَـــتْ   لا يُحـــاكي شِـــعْرَكَ الضَّـــخْمَ الأَنِيـــقْ
كـــانَ فـــي الجُـــلَّى[1] سِـــلاحًا ماضِـــيًا   لَـــــمْ يُبـــــالِ بِعِـــــواءٍ أو نَقِيـــــقْ
كـــانَ جَيْشًـــا وَحْـــدَهُ فـــي أُمَّـــةٍ   رَكِـــبَ البَغْـــيُ بِهـــا كُـــلَّ مَضِـــيقْ
إنَّ فـــي النّـــاسِ نُفُوسًـــا حُـــرَّةً   تُـــدْرِكَ الـــمَجْدَ، وأُخْـــرَى مِـــنْ رَقِيـــقْ

***

إنَّهـــا الغُرْبَـــةُ أَدْمَـــتْ مُهْجَتِـــي   ورَمَتَنِـــي فـــي جَحِـــيمٍ مِـــنْ عُقُـــوق
إنَّهـــا الـــدُّنْيَا ولَـــمْ أَحْفَـــلْ بِهـــا   مَـــنْ تُـــرَى يَحْفَـــلُ بالوَجْـــهِ الصَّـــفِيقْ!
كُـــلُّ مـــا أَرْجُـــوهُ مِـــنْ هَـــذِي الـــدُّنَى   طُهْـــرُ وُجْـــدانٍ ولُقْيَـــا مَـــعْ صَـــدِيقْ

[1] الجُلّى: الخطبُ العظيم، والأمرُ الجَلَل.

كُــلُّ مــا قَــدَّمْتُ مِــنْ خَــيْرٍ مَضَــى   لَــمْ يَعُــدْ صَــحْبِي سِــوَى طَيْــفٍ غَبُــوقْ[1]
يــا يَراعًــا مُؤْمِنًــا فــي قَوْلِــهِ   أَتُــرَى كُنْــتَ إلى النَّفْــعِ مَسُــوقْ!
يَعْلَــمُ اللهُ بأَنِّــي لَــمْ أَكُــنْ   ذاتَ يَــوْمٍ تــاجِرًا فــي أَيِّ سُــوقْ
يــا زَمانًــا جــائِرًا فــي حُكْمِــهِ   جَــفَّ حَلْقِــي، لَــمْ يَعُــدْ فــي الفَــمِ رِيــقْ

***

لَــيْسَ «كَنقُــولا»[2] صَــدِيقٌ مُخْلِــصٌ   هُــوَ بالفَضْــلِ والنُّبْــلِ عَريــقْ
شــاعِرٌ لا أَرْتَــوِي مِــنْ شِــعْرِهِ   أَتُــرَى يُــرْوَى مِــنَ الحُــبِّ عَشِــيقْ!؟
صُــوَرٌ فــي مَسْــرَحِ الأُفْــقِ لَــها   أَلْــفُ لَــوْنٍ، يــا لِــمَغْزاها الــدَّقِيقْ!
ولَــها مِــنْ مَنْبَــعِ الأُفْــقِ رُؤًى   بِــيَراعٍ مُلْهَــمِ الــوَحْيِ رَشِــيقْ
وإذا مــا اضْــطَرَمُ الصَّــدْرُ أَسًــى   تَهْــرَعُ الــنَّفْسُ إِلَيْــهِ فَــتَرُوقْ
هُــوَ لــي خِــلٌّ وَفِــيٌّ مُخْلِــصٌ   لا أُطِيــقُ البُعْــدَ عَنْــهُ لا أُطِيــقْ
وإذا مــا ســأَلَ النَّــاسُ: تُــرَى   أَيُّنَــا أَسْــمَى ذُرًى، قُلْنــا: «شَــفِيقْ»

[1] طَيْف غَبُوق: طَيْف عابر يغيب فـي الـمَساء.

[2] إشارة إلى الشاعر نقولا مَعْلوف.



قافية الواو

سَامِحْني على هَفْوَة[1]

(مجزوء الوافِر)

صَـــــدِيقي يـــــا «أَبـــــا عُـــــرْوَةْ لَأَنْـــــتَ أَشَـــــدّنا نَخْـــــوَةْ

عَرَفْـــــتُ بِـــــكَ الكَـــــرِيمَ السَّمْـــــحَ لا عُنْـــــفٌ ولا قَسْـــــوَةْ

وخِـــــلًّا دائِـــــمًا يَمْشـــــي بِنـــــا نَحْـــــوَ الإِخـــــا خُطْـــــوَةْ

فَـــــلَا تَعْتَـــــبْ، ولَا تَغْضَـــــبْ وسَـــــامِحْني عـــــلى هَفْـــــوَةْ

[1] جاءت هذه الأبياتُ ردًّا على بيتين أرسلهما وزير الداخليّة علي بوظو إلى الأديب عبد اللطيف اليونس يعاتبه على حملته العنيفة على إجراءات وزارته. وبيتا الوزير هما:

أَهَـــذا أَنْـــتَ يـــا عَبْـــدَ اللَّطِيـــفِ صَـــدِيقي صـــاحِبُ القَلْـــبِ النَّظِيـــفِ؟

أَتَحْمِـــلُ حَمْلَـــةً شَـــعْوَاءَ ضِـــدِّي ولَـــمْ تَأْبَـــهْ لِوَضْـــعِي أو ظُرُوفِـــي؟

(انظر: مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، الطبعة الثانية، ص٥٢٢).



قافية الياء

قصّةُ حُبّ[1]

(من الكامِل)

حَسْناءُ .. كَمْ رَقَصَتْ عَلى كَتِفَيْهِ!   وتَرَنَّحَتْ طَرَبًا على زَنْدَيْهِ

ونَمَتْ طُفُولَتُها على ضَحِكاتِهِ   وتَمايَلَ العِطْفانُ مَعْ عِطْفَيْهِ

كانَتْ لَهُ سَلْوَى، وكانَ لَهَا أَبًا   فَكَأَنَّها كالطِّفْلِ مِنْ أَبَوَيْهِ

كَمْ زَقَّها[2] مِنْ رُوحِهِ! كَمْ زَقَّها   مِنْ قَلْبِهِ! كَمْ زَقَّ مِنْ شَفَتَيْهِ!

حَتَّى إِذا اكْتَمَلَتْ شَمائِلُ رُوحِها   لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَشَبَّثَتْ بِيَدَيْهِ

وتَحَوَّلَ الحُبُّ البَرِيءُ إلى هَوًى   للهِ كَمْ صَبَغَ الهَوَى خَدَّيْهِ!

***

ما أَلأَمَ الدُّنْيا وأَكْثَرَ غَدْرَها!   كانَتْ أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْنَيْهِ

حَتَّى إِذا عَبَسَ الزَّمانُ بِوَجْهِهِ   وَابْيَضَّتْ الشَّعْراتُ فِي فُودَيْهِ

ورَأَى مُحالًا أَنْ تَكُونَ سَعِيدَةً   مَعَهُ، فَأَمْسَكَ قَلْبَهُ بِيَدَيْهِ

قَدْ خافَ أَنْ تَشْقَى فَآثَرَ بُعْدَهُ   عَنْها، وأَلْقَى العِبْءَ عَنْ كَتِفَيْهِ

عِبْءَ الشُّعُورِ بِأَنَّهُ فِي دَرْبِها   حَجَرٌ، فَفَرَّ مِنَ الشَّقاءِ إِلَيْهِ

---

[1] مجلَّة الـمَواهِب (الأَرْجنتين)، السَّنة العشرون، العدد ٤–٥، أيلول–تشرين الأوّل/ سبتمبر–أكتوبر ١٩٦٤ م، ص١٨ . ذكر الشاعر أنّ هذه القصيدةَ مهداة إلى الأستاذ علي محمّد عيسى، أحد شعراء الـمهجر الجنوبي.

[2] زَقَّها: أَطْعَمَها.

فَتَخَيَّلَتْــــهُ بِأَنَّــــهُ قَــــدْ خانَهـــا كَــمْ صَــبَّتِ الآهــاتِ فـــي أُذُنَيْــهِ!

كَــمْ أَرَّقَتْــهُ ونَغَّصَــتْ مِــنْ عَيْشِــهِ! حَتَّـــى غَـــدا كـــالوَهْمِ فـــي بُرْدَيْـــهِ

لَـــمْ تَـــرْثِ قَـــطُّ لِحالِـــهِ، فَتَحالَفَـــتْ، وَاحَسْـــــرتاهُ، مَـــعَ الزَّمـــانِ عَلَيْـــهِ

المراجع

- بينَ عالـمَيْن، عبد اللطيف اليونس، الجزء الأوّل، ١٩٥٧ م.

- جريدة الأنباء، سان باولو، رئيس تحريرها عبد اللطيف اليُونس (الأعداد الـمُشار إليها فـي حواشي الكتاب).

- جريدة الوَطن، بوينس آيرِس، رئيس تحريرها عبد اللطيف اليُونس (الأعداد الـمشار إليها فـي حواشي الكتاب).

- الدكتور عبد اللطيف اليونس، وفاء وذِكْرى، عبد اللطيف محرز، طرطوس، ٢٠١٣ م.

- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة - أَوْتار القلوب وقصائد أخرى، استدرك عليه وقدّم له واعتنى به: د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

- قبسات من الأدب الـمهجري، الدكتور عبد اللطيف اليُونس - أديبًا وسياسيًّا وصحفيًّا، نعمان حرب، ١٩٨٨ م.

- مجلّة الثقافة لـمدحة عكاش، مشكلة الأدب والأدباء: ما هي بواعثها؟ وما هو علاجها؟، عبد اللطيف اليونس، العدد ٧، ١ تموّز/ يُوليُو ١٩٦٠ م.

- مجلّة الثقافة لـمدحة عكاش، حوار مع الوطني الـمخلص الكاتب الأديب الدكتور عبد اللطيف اليونس، العدد ٦، ١ حزيران/ يونيُو ١٩٩٣ م.

- مجلّة الـمواهب الـمهجريّة، رئيس تحريرها يوسف صارمي (الأعداد الـمشار إليها فـي حواشي الكتاب).



– مذكّرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م.

– مَلْحَمة الوَفاء، عبد اللطيف اليونس، دار مجلّة الثقافة، دمشق.

– نفحات من الشعر عن الدكتور عبد اللطيف اليُونس، جمعها ودقَّقها: عبد اللطيف محرز، أشرف على طبعها: د. نزار يونس، الطبعة الأولى، اتّحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠٠٥ م.

– الهجرة في الشعر العربي، عبد اللطيف اليونس، مجلّة الآداب، العدد ١، ١ كانون الثاني/ يناير، ١٩٦٤م.

فهرسة القصائد بحسب البحور



سيرة ذاتية للمؤلّف

الدكتور حسَّان أحمد قمحية

❁ مَواليد الجمهورية العربية السوريَّة، مدينة حمص، ١٩٦٨ م.

❁ شَهادة **الدِّراسَة الثانوية** سنة ١٩٨٦ م.

❁ **شهادَة الدكتوراه فـي الطب البشري** بجامعة دمشق (الطبّ العام) سنة ١٩٩٢ م.

❁ **إقامة للاختصاص فـي الطبِّ الباطني** من ١٩٩٣-١٩٩٧ م.

❁ **دراسات فـي الصحّة العامّة** ١٩٩٤-١٩٩٥ **(خلال فترة اختصاص الباطنة).**

❁ **طَبيبُ طوارئ** مع هيئة الهلال الأحمر السعودي من ٢٠٠٠ حتى ٢٠٠٦ م.

❁ **مُشْرِفٌ ومدرِّب في برنامج الإسعاف الـمتقدِّم** التابع للهلال الأحمر بمنطقة الـمدينة الـمنوَّرة، ومُشْرِف على دبلوم الإسعاف والطوارئ بمعهد السباعي الأهلي بالـمدينة الـمنوَّرة خلال مدّة العمل مع هيئة الهلال الأحمر السُّعودي.

❁ **مُتَرجِمٌ ومحرِّر طبِّي** ومؤلِّف كتب طبّية فـي الـمركز العربـي لترجمة وتأليف الكتب الطبِّية (أكملز) بالكويت منذ سنة ١٩٩٩ م، وقد ترجم وألّف للمركز الكثير من الكتب الطبِّية، مثل السلامة والصحّة الـمهنّية وكتاب الالتهاب والترجمة الطبّية التطبيقية. كما شارك فـي شرح مصطلحات الـمعجم الطبِّي الـمفسِّر الصادر عن الـمركز.

❁ **مديرٌ طبِّي للهِلالِ الأحمر السعودي** بمنطقة الـمدينة الـمنوَّرة، و**مدير للدِّراسات**، منذ سنة ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٦ م.



❁ **كبير الـمحرِّرين الطبِّيين وعضو مجلس الإدارة** فـي موسوعة الـملك عبد الله العربية للمحتوى الصحِّي بجامعة الـملك سعود للعلوم الصحّية فـي الشؤون الصحية بالحرس الوطني، منذ سنة ٢٠١١ م وحتَّى تاريخه.

❁ يتَعاون مع الـمكتب الإقليمي لشرق الـمتوسط بمنظَّمة الصحَّة العالمية منذ سنة ١٩٩٧ م، و**عضوٌ مؤسِّس فـي شبكةِ تعريب العلوم الصحِّية** التابعة له؛ وقد شارك مع فريقٍ من الـمنظَّمة فـي إنجاز مشروع الـمعجم الطبِّي الـموحَّد الـمَشْروح الذي يضمُّ أكثرَ من ١٣٠ ألف مُصْطَلح بعدَّة لغات وبوسائط متعدِّدَة.

❁ أصْدر عددًا من **الكتب الطبِّية ترجمةً وتأليفًا والأدبيّة**، وقد بَلغَت حتَّى حينه أكثر من تِسْعين كتابًا، مع الحصول على جَوائز عَربيَّة مشتركة، مثل جائزة مؤسَّسة الكويت للتقدُّم العلمي عـن كتاب هاربر – الكيمياء الحيويَّة كأفضل كتاب مترجم فـي العلوم لسنة ٢٠٠٠ م، وعـن كتاب الأسس الباثولوجية للأمراض سـنة ٢٠١١ م. وآخـر كتـاب صـدر لـه فـي الـمجال الطبّي هـو «دور الوقت فـي الصحَّة والـمرض» عـن دار الإرشـاد بحمص، ٢٠٢١ م. ومـن بعض تلك الكتب (مترجمة أو مؤلَّفة):

– الـموسوعة الطبِّية الـميسَّرة (٤ أجزاء)، مكتبة الـمركز التقني الـمعاصر، دمشق، ١٩٩٥–١٩٩٧ م.

– الفيزيولوجيا الطبِّية والفيزيولوجيا الـمرضيَّة (٣ أجزاء)، دار ابن النَّفيس، دمشق، ١٩٩٧–١٩٩٨ م.

– طبّ العناية الـمشدَّدة (جُزْآن)، دار ابن النَّفيس، دمشق، ١٩٩٧.

– أطلس أمراض الجلد، مكتبة الـمركز التقني الـمعاصر، دمشق، ٢٠٠٢ م.

– كتاب القلب، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣ م.



- دليل الـمسعف (مشترك)، الهلال الأحمر السعودي، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- بروتوكول العمل الإسعافـي (مشترك)، الهلال الأحمر السعودي، الرياض، ٢٠٠٥ م.
- ثورة إطالة الأعمار، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٦ م.
- أسوأ السيناريُوهات، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- معجزة الجنين، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١٢ م.
- يوم من الحياة في جسمك، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١١.
- الحمل فـي القرن الواحد والعشرين، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠١٣ م.

❁ نَشْرَ العَديد من **الـمقالات الطبِّية والأدبيّة**، مثل مجلَّة الـموسوعة العربيّة ومجلَّة جمعية مكافحة السلِّ والأمراض التنفُّسية بدمشق والـمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومجلَّة الإسعاف فـي الهلال الأحمر السُّعودي وعدد من الـمجلّات الأخرى والـمواقع الإلكترونية.

❁ **فـي الـمجال الأدبـي والاجتماعي والترجمة** (مع ملاحظة أنّ بعضَ هذه الكتب أُعدّت سابقًا قبلَ تاريخ صُدورها ببضع سنوات):

- ***دراسات فـي الأدب الـمهجري:***

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب – أَناشيد الحَياة (تَقْديم وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.

⊕ الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب – حياتُه وشعرُه، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٨ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَصْر سَمْعان (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ عَتبات النصّ فـي ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَصْر سمعان، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري بَدْري فَرْكوح – تَقْديم وجَمْع وضَبْط، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَدْرة حَدَّاد – أَوْراق الخَريف وقَصائِد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشاعرة الـمَهْجريَّة سَلْوى سلامَة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ الأديبة والشاعرة الـمَهْجريَّة سَلْوى سَلامَة – حياتُها وأدبها، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمهجريّ بِتْرو الطرابلسي (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشاعر الـمَهْجريّ صَبْري أَنْدريا (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢٠ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري مِيشيل مَغْربـي – أَمْواج وصُخُور (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري جميل حلوة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نسيب عريضة – الأَرْواح الحائرة وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة – أَوْتار القلوب وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط)، دار الإرشاد، حمص، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري موسى الحدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢١ م.

⊕ ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري يوسف صارمي، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢١ م.



- أدباء وشعراء مَهْجريون منسيّون، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.
- ديوان الأديب الـمَهْجري عبد الـمسيح حدّاد، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.
- ديوان الشاعر الـمَهْجري علي محمّد عيسى، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٢٢ م.

- دواوين شعرية وكتب أخرى:

- أَبْلغ من الصَّمْت (مَجْموعة شِعْرِيَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م.
- براعم النُّخبة للأطفال (مَجْموعة شِعْرِيَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م،
- جرعة حزن (مَجْموعة شِعْرِيَّة)، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٨ م،
- مرايا الليل (مَجْموعة شِعْرِيَّة)، دار روائع الكتب، إسطنبول، ٢٠١٩ م.
- وعاد القمر (مَجْموعة شِعْرِيَّة)، دار روائع الكتب، إسطنبول، ٢٠٢٠ م.
- نِثار الغريب، دار صونجاغ، إسطنبول، ٢٠٢٢ م.
- الفيسبوك تحت الـمجهر، دار النخبة، القاهرة، ٢٠١٧ م.
- مَعالِـم فـي الترجمة الطبِّية – محاولة لوضع القواعد والأسس، دار الإرشاد، حمص، ٢٠١٩ م.

الدكتور عبد اللطيف اليونس (١٩١٤ ٢٠١٣ م) أديب وصحفي وسياسي سوري مرموق. خاض معترك السياسة في مطلع شبابه حيث ترأَّس تحرير صحيفة "صوت الحق" في اللاذقية سنة ١٩٣٧ م، ودبّجها بالمقالات الوطنية والحماسية ضد الاحتلال الفرنسي، لاحقته السلطاتُ الفرنسية فالتجأ إلى العراق وعادَ بعد الاستقلال سنة ١٩٤١ م. خاض الانتخابات النيابية وانتخب نائبًا عن قضاء صافيتا ثلاث دورات متتالية (١٩٤٩، ١٩٥٤، ١٩٦١). انتُخب أمين سرّ المجلس النيابي، وأسهم بتأسيس «الكتلة الدستورية» المستقلّة المكوّنة من ٣٧ نائبًا. وفي سنة ١٩٦٤ م سافر إلى البرازيل حيث أسّس في مدينة ساو باولو صحيفة «الأنباء» سنة ١٩٦٩ م باللغتين العربية والبرتغالية، وأسّس صحيفة «الوطن» في بيونس آيرس عاصمة الأرجنتين سنة ١٩٧٩ م باللغتين العربية والإسبانية، أسهم بتأسيس "عصبة الأدب العربي" في البرازيل، و «نَدْوة الأدب العربي» في الأرجنتين، وشارك في تأسيس "فيآراب" أمريكا. له مؤلّفات عدّة في التاريخ والأدب والنقد والسياسة. وتعدّ ملحمة الوفاء الشعرية من أهم آثاره الأدبية، وقد أودعها خلاصةَ نظرته إلى الإنسان والحياة.

